الشيخ حسن مكي الخويلدي

الاستغفار
أمان أهل الأرض

مؤسسة
دار البيان العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

الاستغفار

أمان أهل الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار البيان العربي

حارة حريك / خلف بنك بيروت والبلاد العربية - بناية سبيتي ط٣.
ص. ب: ٩٧/ ٢٥ - ٥٧٨٩ ، ١١٣/ . تلفون: ٨٢١١٤٢ - ٨٢٢٥٥٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إيَّاك نَعْبد وَإيَّاكَ نَسْتَعِين * إهْدِنَا الصـراط الْمسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الّـذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ * ﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس ونـزههم عن الدَّنس ، إلى المبلغين عن الله والداعين إلى سبيله ، إلى أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

إلى صاحب القلب الكبير ، إلى الذي تحمل العنـاء تلو العناء من أجـل سعادتي ، إلى الذي جاع لأشبع وسهر لأنام ، إلى الذي فتح صـدره لاستقبال أقسى أنواع المصاعب والمتاعب من أجلي ، إلى والدي العزيز .

وإلى من أسكنتني قلبها ، إلى من فدتني بروحها ، إلى التي أعطتني كل شيء ولم أعطها شيئاً ، إلى والدتي الحنون .

وإلى سكني وأم ولدي ، إلى التي شاركتني مرّ الحياة وحلوها ، إلى التي خففت عني أعبـاء الحيـاة ، إلى زوجتي المـوقـرة ، أقـدم هـذا المجهـود المتواضع .

تقديم

لقد تكرم فضيلة الشيخ علي المرهون حفظه الله بهذا التقديم فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

إليك أيها القارىء الكريم أقدم كتاب (الاستغفار أمان أهل الأرض) الذي سدّ فراغاً من المكتبة الإسلامية الذي كانت تنتظره من قرون لما فيه وفيه من تنبيه الغافل وبغية الآمل وملجأ المذنب كيف لا ؟ وهو الوسيلة العظمى لغفران الذنوب وستر العيوب ويكفي أنه أمان لأهل الأرض والنعمة الكبرى التي أنعم الله بها على عباده فلا ذنب مع الإستغفار إذا سلم من الإصرار . أما كيف يؤثر أثره وينفذ مفعوله فما عليك إلا أن تقرأ كتابه لتعرف مدى مفعوله وعظيم فائدته ، ومن وراء ذلك تعرف مدى ذلك المجهود الذي قام به مؤلفه مما خدم به الدين الإسلامي والمجموعة البشرية جمعاء فجزاه الله خير الجزاء ألا وهو صديقنا الشاب النبيل الشيخ حسن الحاج مكي الخويلدي الذي بزّ أقرانه فيما أوتي من مواهب يعرفها كل من عرف الفضل لأهله ، ولا أدلّ على ذلك من هذا الكتاب الجليل الذي لم يسبق بمثله فيذكر ويشكر .

فحياه الله وحيا جهوده سائلاً ربي الكريم أن يوسه لما يحب ويرضى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

٩/١٠/١٤١٢هـ

علي المرهون

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، مجير المؤمنين ، وراحم المستغفرين ، والصلاة والسلام على خير خلقه وصفوة بريته الذين امتدحهم الله في كتابه ، وجعلهم قادة إلى سبيله محمد وعلى آله الطاهرين وبعد:

فالدنيا بحر عميق غرق فيه عالم كثير ، والإنسان في هذه الدنيا كراكب هذا البحر ، فلربما تعرض لعاصفة شديدة فأغرقته ، أو ربما تعرض لأمواج طاغية فابتلعته أو ربما تعرض لحوت مفترس من النقمة ، فهو بحاجة إلى ما يصد العاصفة الشديدة عند نفسه ، ويكسر الأمواج الطاغية عن قاربه ، ويدفع الحوت المفترس عند افتراسه بل بحاجة إلى ما يدفع عنه أي لون من ألوان المكاره التي قد يتعرض لها في رحلته الطويلة ، ولكن ما ذلك الشيء الذي يحتاجه لدفع كل ذلك عنه ؟

إنه الاستغفار . نعم الاستغفار الذي يضمن لك الأمان من كل ما تتعرض له من المكاره والمصائب والنقمات في فترة حياتك ، بل وبعد مماتك ، بل وإلى الأبد لكن كل ذلك بشرط الإستغفار وشروطه ، أما ما هو السبيل للتعرف على شرطه وشروطه فإن الكتاب كفيل بأن يدلك على ذلك بإذنه تعالى .

كما أنني لا أخفي على القارىء الكريم سروري لما وجدته من إقبال جيد

على هذا الكتاب حيث أنه ما مرت سوى أيام قلائل على ظهور الطبعة الأولى حتى نفذت جميع النسخ من الأسواق . ونظراً لكثرة طلب الأخوة والأخوات عليه بادرت إلى اخراج هذه الطبعة إلى الوجود . وإنني إذ أشكر جميع الأخوة والأخوات القراء على اقبالهم هذا الذي يكشف عن ثقتهم وحسن ظنهم أدعوهم مبتدئاً بنفسي أولاً أن يتخذوا هذا الكتاب محطة إقلاع لهم للعروج إلى السعادة الأبدية لا أن يقرأوه قراءة من هَمُّهُ آخر السورة . . بل المطلوب قراءته بتفكر وتدبر عميقين .

وأخيراً :

أسأله سبحانه أن يختم لنا وإياكم بالسعادة إنه سميع مجيب وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين الميامين ؟

حسن مكي الخويلدي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه الميامين وبعد :

الحديث عن الإستغفار حديث عن الأمان ، فكما أنه لا قيمة للحياة بدون أمان ، كذلك لا قيمة لها بدون استغفار .

فالإستغفار أمان أهل الأرض من كل نقمة استوجبتها أعمالهم ، بحيث يمكنني أن أقول جازماً : لو أن الناس تمسكوا بهذا الأمان لما رأيت بلاءً على وجه الأرض .

فالأمراض والمصائب والنكبات ، والهموم ، والغموم ، وسوء المعيشة ، وانتشار الفقر ، وشيوع الفتنة ، وبتر الأعمار ، وموت الفجأة ، وغلاء الأسعار ، وحبس الأمطار ، وغير ذلك سببها الذنوب التي لم يعقبها استغفار ، وستعرف إذا ما تلوت هذه الصفحات حقيقة ما بينت بمشيئته سبحانه .

فلقد جاء في الحديث الشريف «لقد كان في الأرض أمانان ، رفع أحدهما ، فدونكم الآخر فتمسكوا به ، أما الأمان الأول فهو الرسول (ص) وقد رفعه الله إليه ، وأما الأمان الآخر : فهو الإستغفار ، فدونكم فتمسكوا به» ، قال تعالى ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم**

يستغفرون ﴾[1] .

كما أن أهم الأسباب التي دعتني لأن أبحث هذا الموضوع أمور :

١ ـ أهمية الاستغفار وكونه أماناً لأهل الأرض .

٢ ـ عزوف الناس عنه ، اللهم إلا .

٣ ـ قسم كبير ممن استثنينا أخطأوا الطريق الصحيح للإستغفار فأصبح استغفارهم وعدمه على حدٍ سواء ، بل ربما كان عدمه أولى من فعله .

فانطلاقاً من الواجب الديني ، حاولت بعونه تعالى بحث هذا الموضوع بطريقة يفهمها الجميع من حملة الشهادات العليا وغيرهم ممن هم دونهم ليكون أعم للمنفعة ، وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول :

ففي الفصل الأول : تطرقت إلى إيضاح معنى الإستغفار ومن ماذا يكون ، ثم سلطت الضوء على آثار الذنوب الدنيوية والأخروية ، حيث أن الإستغفار يكون منها .

وفي الفصل الثاني : وبعد الإجابة على سؤال : لماذا الإستغفار ؟ تحدثت عن فوائد الإستغفار التي لا غنى لنا عنها .

وفي الفصل الثالث : إستعرضت الكيفية الخاطئة التي يستخدمها الكثير من الناس في طريقة استغفارهم ، ثم أوضحت الكيفية الصحيحة للإستغفار دعائمه وآدابه وشروطه .

وفي الفصل الرابع : أشرت إلى الأوقات والأماكن المفضلة للإستغفار بعد أن أوضحت أن الإستغفار مطلوب في كل وقت وفي كل مكان .

أما بالنسبة للفصل الخامس والأخير : فقد بحثت فيه ثلاثة أمور :

١ ـ هل نحن عقلاء أم مجانين ؟

٢ ـ أسباب ترك الإستغفار .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٣ .

٣ ـ سبل العودة إلى الإستغفار .

وهذه الفصول الخمسة وإن كانت حسب رأينا كلها مهمة غير أن الفصل الثالث هو الأهم من حيث أنه قلب الكتاب وروحه .

لـذا يرجى من الأخـوة القراء التـركيز في فهمـه وفي تحـويله إلى واقـع عملي ، وأن يعيدوا قراءته بين الفينة والأخرى ، لأنه يقودهم بإذن الله إلى سعادة الدنيا والآخرة .

أسأل الله سبحانه أن يتقبل هـذا الجهد المتـواضع ، وأن يجعله خـالصاً لوجهه إنه قريب مجيب .

حسن مكي الخويلدي

الفصل الأول

معنى الإستغفار :

الإستغفار مأخوذ من مادة (غَفَرَ) أي ستر وغطى وأصل (الغَفْـر) التغطيـة والستر ، وكل شيء سترته فقد غفرته ومنه قيل للذي يلبسه المحارب على رأسه (مِغْفَر) يقال «غفر زيد المتاع» : يعني جعله في الوعـاء وستره فيـه و (غفَر الله الذنب) : أي ستره وغطاه وبالتـالي يكون معنى الإستغفـار : هو طلب الستـر والتغطية والعفو من الله سبحانه وتعالى ، بمعنى أن المستغفر يطلب من المولى عز شأنه أن يستر قبائحه وذنوبه ، ويغطيها إلى الأبد فلا يسأله عنهـا ولا يعاقبـه عليها ، وليس كل من طلب شيئاً وجده ، وليس كل من أراد ستر ذنوبه وتغطيتها يُلبَّى طلبه .

نعم إذا استطاع أن يوجد في نفسه الشروط التي يجب أن تكون موجودة عند المستغفر فإنه لا يُرد طلبه ، وسوف تتعرف على هذه الشروط في خضم هذا البحث المتواضع إنشاء الله .

الإستغفار من ماذا ؟ :

لا شك أن الإستغفار يكون من الذنوب والخطايا والمعاصي والتجاوزات والقبائح وكل ما من شأنه إبعـاد الإنسان عن جـادة الحق كظلم النـاس ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين ، وقطيعـة الرحم ، والـزنا ، وشـرب الخمر ، واللعب بالقمار ، والغناء ، والقذف ، والخيانة ، والسرقة ، وأكل السحت ، والغيبة ،

والنميمة ، والإستهزاء بالمؤمنين ، وسوء الظن بالناس مع ترتيب الأثر عليه ، والحسد مع ترتيب الأثر عليه أيضاً ، والكذب ، والتطفيف في المكيال والميزان ، وعدم طاعة الزوجة زوجها فيما يجب عليها طاعته ، وظلم الزوج لزوجته ، وإشاعة الفاحشة ، وترك الواجبات ، وتسويف الحج وتأخيره عن سنة الإستطاعة ، وسفورالنساء ، وتأخير التوبة ، وشهادة الزور ، وما شابه ذلك من الرذائل والمحرمات التي نهانا الشارع المقدس عنها ولا يسعنا الآن أن نتطرق إلى حصرها .

آثار الذنوب :

إن للذنوب آثاراً سيئة وخطيرة على الصعيدين الفردي والإجتماعي ، فهناك من الذنوب ما يؤدي إلى بتر عمر الإنسان ، ومنها ما يؤدي إلى إذلاله وإفقاره ، ومنها ما يؤدي إلى نزول النقمة الفورية عليه .

والحديث عن أضرار هذه الذنوب يحتاج إلى تفصيل واسع غير أننا نكتفي بذكر أهم الآثار الناتجة عن الذنوب إجمالاً :

١ ـ قسوة القلب :

القلب هو إمام الجوارح وهو دليلها ، ومرشدها إذا ما ضلت طريقها ، أو شكت في أمر من أمورها لذا يكون لزاماً على المرء أن يحافظ على هذا الإمام كي لايتعرض لأي اعتداء يعطل دوره ، ولا يكون ذلك إلا بالإبتعاد عن الذنوب والمعاصي فإذا ما اقترف الإنسان شيئاً من هذه الذنوب حدث في القلب قسوة وظلمة .

فإذا قسى القلب ، وعميت بصيرته ، بدأت الجوارح تخبط خبط عشواء وبدأ الإنسان يرتكب أبشع الجرائم وأفضعها دون أن يجد من نفسه زاجراً عنها .

قال تعالى ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾[١] .

---

(١) سورة المطففين ، الآية(١٤) .

وقال تعالى ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة** ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ **وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً** ﴾[3] .

وروي عن الإمام الباقر أنه قال : (ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنب ذنباً خرج من النكتة نكتة سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا تَغَطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قوله تعالى ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته ، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله» .

٢ ـ الذنوب تغير النعم :

نعمتان سرعان ما تتبدلان وهما (الغنى) و(الصحة) فبينما نرى الإنسان غنياً وإذا به قد افتقر ، وبينما هو صحيح وإذا به قد مرض ، يصبح الإنسان غنياً لا يدري في أي بنك يضع أمواله ويمسي وقد مد يد الإحتياج إلى الناس!! وكل واحد منا معرض لهذه الحالة!!! كيف ذلك ؟

الأسباب كثيرة فلربما اشتعل في بيت هذا الإنسان حريق لا سمح الله

---

(١) سورة البقرة ، الآية(٧٤) .
(٢) سورة الصف ، الآية(٥) .
(٣) سورة النساء ، الآية(١٥٥) .

وأحترقت أمواله ، أو ربما اعتدى لص عليها فسرقها أو ربما خرج الإنسان إلى عمله مستقلاً سيارته فتصطدم عن طريق الخطأ بسيارة مليئة بالركاب فيموت منهم عدد معين ، ويكون هو المخطىء فيطالب بالدية وتكون أمواله لا تستوعب كل الديات وهكذا يصبح الإنسان غنياً ويمسي فقيراً . أليس كذلك!! .

أو يصبح صحيحاً ويمسي سقيماً ، وكم سمعنا ونسمع بأشخاص أصحاء يصبحون وبمقدورهم مصارعة الفيلة ، ويمسون في غرفة العناية المركزة في المستشفيات بسبب جلطة دم أو عثرة أو شرقة أو ما شابه ذلك ، وهكذا تتغير النعم الأخرى أيضاً .

ولا شك أن السبب الأساسي لتبدل هذه النعم في الغالب هو (الذنوب) نعم ، إنها الذنوب وما أدراك ما تصنعه الذنوب .

قال تعالى ﴿ **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ، ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله سميع عليم** ﴾[1] ، فالآية الكريمة صريحة في أن ذنوب آل فرعون والذين من قبلهم هي التي غيرت النعم التي كانوا يرفلون بها .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : «ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياه حتى يذنب ذنباً يستحق بذلك السلب»[2] .

وروي عنه أيضاً أنه قال : «الذنب يحرم العبد الرزق»[3] .

وروي عن الإمام الباقر أنه قال : «إن الله قضى قضاءً حتماً ألا ينعم على العبد نعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة»[4] .

وروي عنه أيضاً أنه قال : «إن الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق وتلا

---

(١) سورة الأنفال، الآيتين : (٥٢ ، ٥٣) .
(٢) الكافي : ج٢ ، ص٢٧٤ باب الذنوب ، ح٢٤ .
(٣) الكافي : ج٢ ، ص٢٧١ باب الذنوب ، ح١١ .
(٤) الكافي : ج٢ ، ص٢٧٣ باب الذنوب ، ح٢٢ .

هذه الآية﴿ **إذْ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾»[1] حيث أن هذه الآيات تشير إلى قصة أصحاب الجنة أي البستان الذي كان باليمن في قرية لها (صروان) بينها وبين صنعاء قرابة اثني عشر ميلاً ، وكان ذلك البستان لشيخ يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله ، ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن أحق بها لكثرة عيالنا ولا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم كما قص الله تعالى في كتابه .

وروي عن الإمام أمير المؤمنين أنه قال : « وأيم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم إلا بذنوب اقترفوها لأن الله ليس بظلام للعبيد »[2] وخفض العيش يعني : سعة العيش .

فهذه الأحاديث تدلنا دلالة واضحة على أن الذنوب تبدل النعم وتغيرها وبالتالي تترك الإنسان أسيراً بين أنياب الفقر والهم ، يقول الشاعر :

إذا كنت في نعمة فارعها — فإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد — فرب العباد سريع النقم

يقول أمير المؤمنين في الدعاء الذي علمه كميل بن زياد النخعي : « اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم » .

ويقول الإمام الصادق : « الذنوب التي تغير النعم هي : ترك شكر النعم والإفتراء على الله والرسول وقطع صلة الرحم ، وتأخير الصلاة عن أوقاتها ، والدياثة[3] ، وترك إغاثة الملهوفين المستغيثين ، وترك إعانة المظلومين» .

وعوداً إلى بدء تذكّر بأصل الفكرة بقوله تعالى : ﴿ **لئن شكرتم**

---

(١) الكافي : ج٢ ، ص٢٧١ باب الذنوب ، ج١٢ .
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٨ .
(٣) الدياثة: القيادة ، والديوث من الرجال: القوّاد على أهله .

لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾[1] ، فقوله سبحانه ﴿ **ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾ صريح في أن عدم الشكر موجب لتبديل النعم ونزول النقم وحقيقة الشكر تتجسد في طاعة الله فمن عصى ربه لم يشكره وإن قال شكراً لله كل يوم ألف مرة .

٣ ـ الذنوب آفة العلم :

لا شك أن العلم نور ، يقذفه الله في قلب كل من أراد هدايته فطلب العلم لا يكون بالتعلم فقط بل لا يكون إلا عبر الخطوات التالية :

أولاً : أن يحقق طالب العلم صدق العبودية لله وحده .

ثانياً : أن يكون عاملاً بما علم وعازماً على أن يعمل بما يعلم .

ثالثاً : أن يتعلم العلم النافع بعد ذلك . فإنه إذا حقق الشرطين الأولين وفقه الله وأعانه على طلب العلم ، وتحقيق الشرط الثالث يقول الإمام أمير المؤمنين لولده الحسن في وصيته له : « . . . فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلب ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات ، وعُلَق الخصومات ، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك ، والرغبة إليه في توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك في شبهة ، أو أسلمتك إلى الضلالة »[2] .

فالإمام يشير إلى أن التفهم والتعلم لا يتم إلا بالإستعانة بالله ، وطلب توفيقه وترك الذنوب والمعاصي والإبتعاد عن الشبهات والضلالات .

ويقول أيضاً في دعاء الصباح المنسوب إليه : « إلهي إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي إليك في واضح الطريق » .

فإذا أذنب الإنسان وخالف أوامر ربه ، والمتفضل عليه ، سلبه التوفيق والعون ، وحيث أن ثبوت العلم في القلوب لا يكون إلا بتوفيق الله وعونه ، لذا

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

(٢) نهج البلاغة : الوصية ٣١ .

تكون الذنوب ممحقة وآفة للعلم .

قال رسول الله (ص) : « اتقوا الذنوب ، فإنها ممحقة للخيرات ، وإن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه» .

لذا ينبغي لطالب العلم أن يحسن نيته ، ويطهر قلبه ، من كل دنس كي يكون مهيئاً لقبول العلم وحفظه ومراعاته فإن رواة العلم كثير ولكن رعاته قليل .

قصة :

أحد طلاب العلوم الدينية وإسمه (علي بن حشرم) إشتكى يوماً من الأيام ضعف ذاكرته لأستاذه واسمعه (وكيع) وطلب منه أن يرشده إلى دواء يعالج به مرضه . . . وكان الأستاذ روحانياً ، ورعاً فقال له : (إستعن على الحفظ بقلة الذنوب) ، وروي (بترك الذنوب) فنظم الإمام الشافعي رحمه الله القصة في بيتين قال فيهما :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتاه عاصي

٤ ـ الذنوب تمنع استجابة الدعاء :

إن الله سبحانه قد أخذ على نفسه عهداً أن لا يخيب من دعاه ، ولا يرد سؤال من سأله ، وكيف لا ؟ وهو القائل : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾(١).

وكل ذلك تلطف منه سبحانه وتعالى بعباده . . . ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾(٢)؟!!!

غير أن الأمر محير في الواقع ، فما دام الله سبحانه وعدنا باستجابة الدعاء إذا دعونا فلماذا لا تستجاب دعواتنا ؟!!! ما هو السر يا ترى ؟ لو تدبرنا الأمر ملياً لرأينا أن السر يكمن في الذنوب التي تحجب دعاءنا عن الإستجابة ، ولا شيء

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ١٢٢ .

غير الذنوب لأننا نقرأ ونسمع عن الكثير من أولياء الله الذين طهرت نفوسهم وصار بينهم وبين الذنوب بعد المشرقين ، كيف أن الواحد منهم يدعو الله في يوم شديد الحر وليس في السماء قطعة واحدة من الغيوم ، يسأل الله سبحانه أن ينزل الغيث ، ولا يقول أكثر من (رب إني وفيت بعهدك ففِ بعهدي) فلا يتم كلامه حتى تتجمع السحب ، وينزل الغيث!

فبماذا نستطيع أن نفسر هذا الأمر وأشباهه من جهة ، وعدم استجابة دعائنا من جهة أخرى ؟!!

إنها الذنوب التي إذا عملها العبد حبست دعاءه ، وإذا تركها أو استغفر منها فتحت أبواب السماء لدعائه .

يقول الإمام الباقر : « إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء ، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تعالى للملك لا تقضي حاجته واحرمه إياها فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني »(١) .

ومن الذنوب أن يظلم الإنسان غيره فإنه إذا دعا لا يستجاب له دعاؤه ، وإن كان مظلوماً وذلك لأنه ظالم لغيره في نفس الوقت يقول الإمام الصادق : « إن الله عز وجل يقول :(وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ظلمها ولأحد عنده مثل تلك المظلمة)» .

ومما يدلنا على ذات الفكرة قول الإمام أمير المؤمنين في دعائه الذي علمه كميل بن زياد : (اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء) حيث أشار إلى أن هناك ذنوباً من شأنها أن تحبس الدعاء .

٥ ـ الذنوب تنزل النقم وتورث البلاء :

المتأمل لكتاب الله المحكم ، وللسنة النبوية المطهرة ، ولاحاديث أهل بيته الطاهرين ، يرى أن جميع المآسي والمصائب والمشاكل والنكبات والبلايا

---

(١) الكافي : ج٢ ، ص٢٧١ باب الذنوب ح١٤ .

وبتر الأعمار وما أشبه ، كل ذلك من الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الناس .

فشيوع المعصية ، وكفران النعمة ، والتمادي في البغي والعدوان ، ومنع الحقوق والتطفيف في المكيال والميزان ، والظلم ، والغدر ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنع الزكاة ، والحكم بغير ما أنزل الله ، ونحو ذلك من المعاصي التي تمزق الأستار وتغضب الجبار . . . هو السبب الرئيسي والباعث الكلي في حلول النقم وإبادة الأمم ، بل وفي حلول كل المصائب والنكبات .

قال تعالى : ﴿ **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب** ﴾[1] .

وقال سبحانه﴿ **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين** ﴾[2] .

وقال تعالى أيضاً ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾[3] .

وقال سبحانه أيضاً﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾[4] .

فهذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن كل ما يصيب الإنسان من بلاء إنما جاء نتيجة الذنوب التي اقترفتها يداه .

وفي تراث الرسول (ص) وأهل بيته الشيء الكثير من الروايات الدالة على هذا المعنى ، والتي تضع النقاط على الحروف .

قال أمير المؤمنين : « توقوا الذنوب ، فما من بلية ولا نقص رزق إلا

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١١) .
(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٥٤) .
(٣) سورة الشورى ، الآية : (٣٠) .
(٤) سورة القصص ، الآية : (٤٧) .

بذنب حتى الخدش ، والكبوة والمصيبة » ، قال الله عز وجل ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ .

وقال الإمام الرضا : « كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون »(١) .

وقال الإمام الصادق : « أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب »(٢) .

وقال أيضاً : « كان أمير المؤمنين يقول : لاتبدينَّ عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة ، ولا يأمن البيات من عمل السيئات » .

والإبـداء : هـو الإظهـار وتعـديتـه بـ(عن) لتضمين معنى الكشف ، والـواضحة : الأسنـان التي تبدو واضحـة عند الضحـك ومعنى الحـديث : لا تضحك ضحكاً تبدو به أسنانك ويكشف عن سرور قلبك ، ما دمت قد عملت أعمالاً فاضحة وكاشفة للعيوب والمساوىء ، فإن من عمل السيئات لا يأمن أن تنزل عليه الحوادث والطوارق والنقم في البيات أي في الليل . وقال أبو أسامه : سمعت أبا عبد الله الصادق يقول : « تعوذوا بالله من سطواته بالليل والنهار قال : قلت له : وما سطوات الله ؟ قال : الأخذ على المعاصي » . وروي عن الإمام الصادق أيضاً قوله : « من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال ، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمال » (٣) . وروي عنه أيضاً أنه قال : « يقول الله عز وجل : إذا عصـاني من عرفني ، سلطت عليـه من لا يعرفني » . هـذا مع لحاظ أن لطف الله سبحانه لم يرفع عنا ، وما هذه المصائب التي تصيبنا جراء ذنوبنا إلا أجراس إنذار لا أكثر ، علنا نتوب أو نؤوب إلى رشدنا .

قال تعالى : ﴿ **ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾(٤) .

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٧٥ باب الذنوب ح٢٩ .
(٢) الكافي ج٢ ص٢٦٩ باب الذنوب ح٣ .
(٣) أمالي الشيخ الطوسي ص٧١٠ .
(٤) سورة الروم ، الآية : (٤١) .

وقال سبحانه: ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ **وما نرينهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون** ﴾[2].

وبالطبع لو كان الله يؤاخذنا على كل ذنب نقترفه ويعاقبنا عليه لما رأيت إنساناً يدبّ على وجه الأرض.

قال تعالى: ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة** ﴾[3].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** ﴾[4].

وروي عن الإمام أبي الحسن أنه قال: « إن لله عز وجل في كل يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله، فلولا بهائم رتّع[5] وصبية رضع وشيوخ ركّع لصب عليكم العذاب صباً ترضّون به رضّاً »[6] نستجير بالله من عذابه ونقمته.

والآن بقي سؤالان لا بد من الإجابة عليهما.

السؤال الأول: ما هي مظاهر الإلهية؟

السؤال الثاني: ما هي تلك الذنوب التي تورث البلايا وتنزل النقم؟.

فبالنسبة لجواب السؤال الأول نقول: مظاهر النقمة الإلهية كثيرة: منها

---

(١) سورة السجدة، الآية: (٢١).
(٢) سورة الزخرف، الآية: (٤٨).
(٣) سورة النحل، الآية: (٦١).
(٤) سورة فاطر، الآية: (٤٥).
(٥) رتع: جمع راتع، أي اكل وشرب ما شاء في خصب وسعة.
(٦) الكافي: ج٢ ص٢٧٦ باب الذنوب ح٣١.

احتباس الأمطار ، وغور الأنهار ، وظهور الغلاء والجدب ، وكساد التجارة ، وبتر الأعمار ، وانتشار الأمراض التي لم تكن في أسلافنا الذين مضوا كالأيدز ، وموت الفجأة ، ورفع البركة من كل شيء وزوال النعمة إلى غير ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** ﴾[1] .

وقال الرسول (ص) : « إذا غضب الله تبارك وتعالى على أمة ولم ينزل عليها العذاب ـ أي عذاب الإستئصال ـ غلت أسعارها وقصرت أعمارها ، ولم تربح تجارتها ، ولم تزك ثمارها ، ولم تغزر أنهارها ، وحبس عنها أمطارها ، وسلط الله عليها شرارها » .

وقال (ص) أيضاً : « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا »[2] .

وحول السؤال الثاني :

فإن الذنوب التي تورث البلاء فهي :

كما قال الإمام زين العابدين : « ترك إغاثة الملهوفين ، وترك معاونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر »[3] .

وفي بعض الروايات : أنها سبع :

« الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله تعالى ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، والزنا ، والفرار من الزحف ، والسرقة » .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (١١٢) .
(٢) الكافي : ج٢ ص٣٧٣ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح١ .
(٣) الوسائل : ج١١ ص٥٢٠ باب ٤١ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما ح٨ .

وأما الذنوب التي تنزل النقم فهي :

كما قال الإمام الصادق: « نقض العهد ، وظهور الفاحشة ، وشيوع الكذب ، والحكم بغير ما أنزل الله ، ومنع الزكاة ، وتطفيف الكيل » .

قال رسول الله : « خمس بخمس قالوا : يا رسول الله ما خمس بخمس ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : «ما نقض قوم العهد إلا وسلط الله عليهم عدوهم ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا وقد فشا فيهم الموت ، وما شاع فيهم الكذب والحكم بغير ما أنزل الله إلا وقد فشا فيهم الفقر ، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر ، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين » .

قال تعالى : ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾[1] .

والأعظم من كل هذا أن الله سبحانه ربما دمّر أمة بكاملها بذنوب بعضها ، وذلك لأن البلاء إذا نزل عمّ .

قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾[2] .

روي حينما هاج طوفان نوح كانت هناك امرأة تحمل طفلها ، أمرها نوح أن تؤمن وتركب في السفينة فأبت! وقالت : سأصعد إلى الجبل لأنجو من الغرق صعدت إلى ثلث الجبل فوصل إليها الماء ، صعدت إلى الثلث الثاني وصل إليها الماء ، صعدت إلى الثلث الثالث ووقفت عند قمة الجبل فوصل إليها الماء . . . ثم ارتفع إلى حقويها ، ثم إلى صدرها ، ثم إلى رقبتها رفعت طفلها بيديها كأنها تستغيث ، ثم غرقت وغرق طفلها ، يقول الرسول (ص) : « لو رحم الله أحداً ذلك اليوم لرحم ذلك الطفل » .

وكذلك لما نزل العذاب على (عاد) و(ثمود) و(قوم تبّع) وغيرهم ما رحم

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٥٩) .
(٢) سورة الأنفال ، الآية : (٢٥) .

طفلاً صغيراً ولا شيخاً طاعناً في السن ، ولا امرأة تعاني من ألم المخاض ، ولا مريضاً على فراش مرضه ، إنها النقمة إذا نزلت عمّت .

ولا يكن بُعْدُ الزمان بيننا وبين أولئك سبباً لأن نشكك في الأمر أو نتباطأ في أخذ العبرة والعظة .

فرويداً لا تذهبن بنا المذاهب ، فهذا تاريخ أوروبا الحديث مفعم بآلاف العبر ، ولا يشك باحث في أثر الذنوب والجرائم في سقوط المجتمعات الغربية .

فالإحصائيات التي يقدمها الغرب عن الجرائم والمآسي وارتكاب الموبقات يقشعر لها الجسم ، وتُنْبىء عن تحول الإنسان هناك إلى وحش كاسر ، مجهز بأحدث الوسائل لإرتكاب أبشع الجرائم .

فانظر إلى آثار طاعون العصر (الأيدز) وخذ منه العبرة وكفى بالتفكر في أمره درساً .

وليت شعري لماذا رضي المسلمون لأنفسهم بأن يسيروا على ما سار عليه أولئك الغربيون حتى أصبحوا يقلدونهم حتى في طريقة الأكل والشرب واللبس والحلاقة!!! .

لهذا السبب ولأمثاله أصبح المسلمون وللأسف سلعة يساوم عليها سماسرة السياسة العالمية! .

٦ ـ الذنوب تسلب لذة المناجاة :

كم هناك من اللذائذ لا يعرف قيمتها إلا أهلها .

إن من تلك اللذائذ لذة المناجاة التي تذوق حلاوتها الأبرار واهتدى إلى طيب نكهتها المتقون ، فهم أهلها وأعرف الناس بها وفقدانها بالنسبة لهم يعني فقدان الشيء الكثير ، ولذة المناجاة هذه لا يذوقها من قيّدته ذنوبه ، وأسرته معاصيه .

جاء في الحديث الشريف عن الرسول (ص) : « إن العبد ليذنب الذنب فيمنع به من قيام الليل وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به الرزق وقد كان هنيئاً له » .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : « يقول الله تعالى : إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي » .

وروي عنه أيضاً : « إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق » .

قصة قصيرة :

وهنا قصة مختصرة جميلة تحمل بين جنباتها درساً بليغاً .

جاء رجل إلى أمير المؤمنين وقال له : إني قد حرمت الصلاة بالليل ، ولا أدري ما السبب ؟ فكلما أردت أن أصلي أصابني النعاس أو الكسل أو عرض لي عارض .

فقال له الإمام أمير المؤمنين : « أنت رجل قد قيدتك ذنوبك » .

تأمل الرجل في نفسه قليلاً ثم قال : « صدقت يا أبا الحسن » . وهكذا تحرم الذنوب صاحبها لذيذ المناجاة وحلاوة العبادة .

٧ ـ الذنوب تهتك العِصَم :

من لطف الله سبحانه بعباده أنه أودع فيهم المناعتين المعنوية والجسمية ، فكما أن البدن الصحيحَ قد جهزه المولى عز إسمه بكريات الدم البيضاء التي تقاوم أي اعتداء على هذا البدن فإذا حافظ الإنسان على التعاليم والإرشادات الصحية كانت مناعته الجسمية كافيه لصد أي نوع من أنواع الأمراض .

وإذا أهمل صحته فإن مناعة الجسم تضعف وبالتالي لا يستطيع الجسم مواجهة الأمراض التي تعتدي عليه ، فكذلك أودع الله في الإنسان المناعة من الوقوع في الموبقات والرذائل وذلك بمنحه العقل الذي لا يضل طريقة ، وفطره

على الفطرة الهادية غير أن ارتكاب الذنوب والمعاصي من قبل الناس هو الذي أضعف عندهم هذه المناعة .

يقول أمير المؤمنين في دعائه الذي علمه كميل بن زياد : « اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم » والعصم : جمع عصمة وهي (المنعة) .

أقول: اعتصمت بالله : أي امتنعت بلطفه والمعنى : « اللهم اغفر لي الذنوب التي تكون سبباً في زوال المناعة من الوقوع في الجرائر والموبقات عندي » .

فكما أن مرض (الأيدز) قد أفقد الإنسان المصاب المناعة فأصبح جسمه فريسة لأضعف فيروس ، قد يدخل بدنه ، فكذلك الذنوب تدمر جُذُر المناعة من الوقوع في المحرمات والمهلكات من الجرائم . وبالتالي يصبح الإنسان فريسة للذنوب فكلما خرج من ذنب دخل في آخر ، حيث لا مناعة من الوقوع في الذنوب عنده ، ومن ثم يصعب عليه مفارقتها ، والخروج منها .

يقول بعض السلف : (إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها) .

فزوال المناعة يجعل القلب لا يستقبح المعصية فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهذا لعمر الله غاية التهتك ، حتى يفتخر أحدهم بالمعصية ويجاهر بها وقلما يوفق أمثال هؤلاء للتوبة .

يقول النبي (ص) : « كل أمتي معافى إلا المجاهرون » .

ويقول (ص) في وصيته لبعد الله بن مسعود : « يا بن مسعود إحذر سكر الخطيئة فإن للخطيئة سكراً كسكر الشراب ، بل هي أشد سكراً منه » يقول الله تعالى : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾[1] .

وقبل الإنتقال إلى نقطة أخرى لعلك تسأل :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (١٨) .

ما هي الذنوب التي تهتك العِصَم ؟

والجواب : هي كما قال الإمام الصادق : « شرب الخمر ، واللعب ، والقمار ، وفعل ما يضحك الناس من المزاح ، واللهو ، وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الريب »[1] .

وفي رواية أخرى مشابهة بدل عبارة (اللعب والقمار) اللعب بالقمار .

٨ ـ الذنوب تقطع الرجاء :

الرجاء : هو الأمل ، ويقصد بالأمل هنا : الأمل بالله ورجاء ما عند الله لا الأمل في مخلوق ما أو رجاء ما عنده ، ولا شك أن العاقل لا يرجو أحداً غير الله ولا غنى للإنسان عن ربه وعن رجاء ما عنده ، غير أن الذنوب بطبيعتها تجعل الإنسان بعيداً عن ربه وخالقه وبالتالي ينقطع حبل الرجاء المتصل بين العبد وربه ، فيبقى العبد أسير الهموم والغموم لا يجد منها مخلصاً ولا عليها معيناً .

والذنوب التي تقطع الرجاء كما جاء في الروايات : « اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ، والتكذيب بوعيد الله » .

٩ ـ الذنوب تعجل الفناء :

يطلق على المدة المضروبة لحياة الإنسان أجل ويقال للموت «أجل» أيضاً فإذا قلنا (دنا أجله) كان المعنى (دنا موته) لكن الأصل من عبارة (دنا أجله) هو استيفاء الأجل وهو مدة الحياة والأجل أجلان : أجل مسمى ، وأجل غير مسمى ، فالأجل المسمى هو الذي لا يقع فيه تغيّر وذلك لتقييده بقوله (عنده) حيث قال تعالى ﴿ **وأجل مسمى عنده** ﴾[2] .

فعند جمع هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿ **وما عند الله باق** ﴾[3] . يتبين أن

---

(١) الوسائل: ج١١ ص٥٢٠ باب ٤١ من أبواب الأمر والنّهي وما يناسبهما حديث ٨ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية: (٢) .
(٣) سورة النحل ، الآية: (٩٦) .

الأجل المسمى باق لايتبدل ولا يتغير ولا يزيد ولا ينقص وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ **إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ (١) .

والأجل غير المسمّى : هو المعلق المشروط الذي يزيد وينقص بسبب الأعمال التي يقوم بها الإنسان حسنة كانت أو سيئة ، وبالتالي فالأجل غير المسمى هو المكتوب في لوح المحو والإثبات فمحو الله وإثباته هو إظهار الأمر بعد إخفائه عن هذا الإنسان حيث أخفاه عنه لحكمة أرادها ، وليس ظهوره بعد خفائه لأن هذا والعياذ بالله يوجب نسبة الجهل عليه سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا الأجل (أي غير المسمى) هو المعروف بالأجل الإخترامي .

يقول ابن القيم الجوزية في كتابه الداء والدواء تحت عنوان من آثار المعاصي طول العمر وقصره (المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد ، فإن البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر) كما استعرض آراء بعض العلماء فقال :

« قالوا : ـ أي بعض العلماء ـ ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب ، فالأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنى والفقر وإن كانت بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي ما يشاء بأسباب جعلها لمسبباتها مقتضية لها ، وقالت طائفة : نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق ، وقالت طائفة : بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسباباً كثيرة تكثره وتزيده وللبركة في العمر أسباباً تكثره وتزيده » .

ولقد روي عن إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق أنه قال : « كان أبي يقول نعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء وتقرب الآجال وتخلي الديار »(٢) .

---

(١) سورة يونس ، الآية : (٤٩) .

(٢) الكافي : ج٢ ص٤٤٨ باب تفسير الذنوب ح٢ .

والذنوب التي تعجل الفناء كثيرة نشير إلى بعضها :

أ ـ قطيعة الرحم :

يقول أبو حمزة الثمالي : قال أمير المؤمنين في إحدى خطبه : « أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء ، فقام إليه عبد الله اليشكري بن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين أو تكون ذنوب تعجل الفناء ؟ قال : نعم ، تلك قطيعة الرحم » [1] .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال : « إياكم والحالقة فاتقوها فإنها تميت الرجال : قيل وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم » [2] .

ب ـ عقوق الوالدين والإساءة إليهما :

يقول أمير المؤمنين : « إن في بر الوالدين النماء والزيادة وفي عقوقهما البوار والإستئصال » .

جـ ـ رد السائل المستحق :

فلقد جاء في الحديث الشريف : « لو صدق السائل لهلك المسؤول» .

د ـ اليمين الغموس :

أي اليمين الكاذبة : وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم ، قال أمير المؤمنين : « إن اليمين الكاذبة ، وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع » [3] ومعنى بلاقع : أي خالية من أهلها وهو كناية عن إبادة أهلها .

هـ ـ الظلم بكل أنواعه :

سئل أميرالمؤمنين : « أي ذنب أعجل عقوبة لصاحبه ؟ قال : من ظلم من لا ناصر له إلا الله ، وجازى النعمة بالتقصير واستطال بالبغي على الفقير » .

---

(١) الكافي : ج٢ ص٣٤٨ باب قطيعة الرحم ح٧ .

(٢) الكافي : ج٢ ص٣٤٦ باب قطيعة الرحم ح٢ .

(٣) الكافي : ج٢ ص٣٤٧ باب قطيعة الرحم ح٤ .

وقال أيضاً : « من سل سيف البغي قتل بـه ، ومن حفر بئـراً لأخيه وقـع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه انهتكت عوارت بيته » .

و ـ الزنا :

قال الرسول (ص) : « إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة »[1] .

وقال أيضاً : « إن في الـزنا ست خصـال ثلاث في الـدنيا ، وثـلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجّل الفناء ويقطع الرزق وأما التي في الآخرة فسوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار » .

وقـال نبي الله يعقـوب عليـه وعلى نبينـا أفضـل الصـلاة والسـلام لابنـه يوسف : « يا بني لا تزنِ فإن الطير لو زنى لتناثر ريشه » .

ز ـ الشذوذ الجنسي :

قـال تعـالى : مشيـراً إلى قـوم لـوط حيث سلط عليهم العـذاب نتيجـة شذوذهم الجنسي :

﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾[2] .

ومعنى ذيل الآية**﴿ وما هي من الظالمين ببعيـد ﴾** أن هذه النقمـة ليست ببعيدة عن كل من يعمل عمل قوم لوط من الأجيال اللاحقة حيث تمطر السماء على أحدهم حجارة من نار فتهلكه ويظن الناس أنـه مات حتف أنفـه لأنهم لا يرون تلك الحجارة والله أعلم بكيفية هلاكه كما أشارت إلى هذا المعنى كوكبة من الأحاديث الشريفة .

١٠ ـ الذنوب تجلب الوحشة :

يجد المذنب في قلبه وحشة تجعله يفقد طعم الحياة ولذيذ عيشها ، فتراه

---

(١) الكافي : ج٢ ص٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح٢ .
(٢) سورة هود ، الآيتين : (٨٢ ، ٨٣) .

يستوحش من أهل الخير ، ويبتعد عن مجالسهم ويقترب من حزب الشيطان وتبقى الوحشة تقوى وتكبر حتى تقع بينه وبين زوجته وأولاده وأقاربه ، بل ربما استوحش من نفسه .

يقول بعض الذاكرين : (إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي) .

ولقد شكى رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له : (إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس) .

١١ ـ الذنوب تورث الذل :

العز كل العز في طاعة الله ومن أراد العز فليطلبه من الله وبطاعة الله لأن العز كلّه لله .

قال تعالى : ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً** ﴾[١] .

وجاء في الحديث الشريف : « من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته » .

فما دام العز في طاعة الله فإن الذل في معصيته ، فالعاصي ذليل وإن تظاهر بالعز والإستعلاء ، لأن الذنوب تعمل على تحقير النفس وتصغيرها قال تعالى : ﴿ **وقد خاب من دسّاها** ﴾[٢] .

وأصل التدسية : الإخفاء ومنه قوله تعالى : ﴿ **أم يدسه في التراب** ﴾[٣] .

فالعاصي يدس نفسه في المعصية ، ويخفي مكانها فتراه ذليلاً عند نفسه ، حقيراً عند ربه ، منقمعاً عند الناس .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : (١٠) .
(٢) سورة الشمس ، الآية : (١٠) .
(٣) سورة النحل ، الآية : (٥٩) .

نعم إن الذنوب لتورث الصَّغار والذل ، خاصة إذا أدمن الإنسان على تلك الذنوب ، قال عبد الله بن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

١٢ ـ الذنوب تمحق البركة :

لماذا أرزاقنا ليس فيها بركة ؟ ولماذا أعمالنا وأعمارنا ليس فيها بركة ؟ ولماذا حياتنا عديمة البركة ؟

ان الجواب الصحيح على هذه التساؤلات هو أن ذنوب العباد قد محقت بركات الأرض وبركات السماء ، فما أبقت لها بقية .

وبالتأكيد ما رفعت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق .

قال تعالى : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾[١] .

فالآية صريحة في أن عدم الإيمان والتقوى هو المانع من نزول بركات السماء وظهور بركات الأرض .

يقول الرسول (ص) : « إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة ، وإذا طفف الميزان والمكيال أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها »[٢] .

ويقول أمير المؤمنين : « ألا وإن الأرض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما أصبحتا تجودان لكم ببركاتهما توجعاً لكم ولا زلفة إليكم ولا الخير ترجوانه منكم ، ولكن أُمِرتا بمنافعكم فأطاعتا وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ، إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات ،

(١) سورة الأعراف ، الآية : (٩٦) .
(٢) الكافي : ج٢ ص٣٧٤ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح٢ .

وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ، ويقلع مقلع ، ويتذكر متذكر ، ويزدجر مزدجر»[1] .

١٣ ـ الذنوب وعذاب القبر :

لا يدخل مع المرء قبره سوى عمله ، فإن كان عمله حسناً أضاء له القبر ، وتحول إلى روضة من رياض الجنة ، وإن كان عمله سيئاً ضاق عليه القبر وانتشرت منه الروائح النتنة ، وتجسدت أعماله السيئة إلى حيات وعقارب تلدغه ، فيجد حموة لدغتها أربعين خريفاً بل وتتجسد إلى نار يتقلب فيها في عالم البرزخ وإلى يوم يبعثون .

قال تعالى : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾[2] .

قصة :

نقل الخضراوي : أن رجلاً تُوفي على عهد عبد الله بن عبد المطلب ، فلما حفروا له القبر رأوا تنيناً[3] ضخماً قد رفع رأسه وفتح عينيه نحوهم وكأنه ينتظر موعداً أوعد به فخافوا من شره والتعرض له ، وطموا ذلك القبر ، وحفروا أخر فظهر لهم ذلك التنين بنفسه ، فطموا القبر الثاني وحفروا قبراً أخر فظهر لهم ذلك التنين بعينه أيضاً للمرة الثالثة ، فخافوا وأخبروا بذلك إبن عباس ، فقال لهم : لو حفرتم هذه القبور[4] كلها لم يغب عنكم هذا التنين فأنزلوا الميت معه فإنه ليس تنيناً وإنما عمل الميت ، وما قدم من الخطايا والذنوب فسألوا زوجته عن فعله فقالت : إنه كان يرفع غداءنا من الحنطة ويضع فيها بقدر ما أخذ شلباً وقشوراً فيمزجه بذلك ويبيعه على الناس وهكذا يجد العصاة ما عملوه حاضراً ،

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤٣ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : (١٠٠) .

(٣) حيوان أسطوري يجمع بين الزواحف والطير ، يقال : له مخالب أسد وأجنحة نسر ، وذنب أفعى ، له رجل فيها أربعة أظفار على نسق ، وخامسة في الكف ، وفي رأسه جمة شعر .

(٤) هكذا وردت العبارة في مصدرها ، ويبدو أن هناك تسامحاً في التعبير، الاّ مع التدقيق لا تخلو العبارة من نظر.

وحضور أعمالهم يعني تجسدها إلى ألوان العذاب على رأي بعضهم .

قصة آخرى :

حدثنا التاريخ أن سعد بن معاذ لما مات قام رسول الله (ص) وأمر بتغسيله وهو قائم على عضادة الباب ، ولما حنط وكفن وحمل على سريره تبعه (ص) بلا حذاء ولا رداء .

فقال بعض المشيعين يا رسول الله نحن نكفيك قال (ص) : أما لو كشف لكم الغطاء لرأيتم الملائكة زرافات زرافات يشيعون جثمان سعد ، فلما انتهى به (ص) إلى القبر لحده (ص) بيده وسوّى اللبن عليه ، وجعل يقول : ناولوني حجراً ، ناولوني تراباً رطباً ، يسد به ما بين اللبن ، فلما أن فرغ وحثى التراب عليه .

قالت أم سعد : « يا سعد هنيئاً لك الجنة » .

فقال رسول الله (ص) : « يا أم سعد لا تجزمي على ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة » .

قالت : لماذا يا رسول الله (ص) : « لأنه كان في خلقه مع أهله سوء » ، « وإن ضغطة القبر للمؤمن كفارة لذنوبه » كما جاء في حديث آخر .

فإذا كان هذا حال من شيعته الملائكة وشيعه رسول الله (ص) ما سلم من ضغطة القبر نتيجة ذنب بسيط فهل نسلم نحن إذا ما فاجأنا الحمام ونحن محمّلون بالخطايا والذنوب ؟!! .

نعم نسلم منها إذا وافانا الحمام وقد طهَّرنا أنفسنا من كل ذنب بالإستغفار ، بمعنى ما خرجنا من الدنيا ونحن ملوثون بشيء من تلك الذنوب وما أروع هذه الآية التي تعتبر أرجى آية في القرآن كما قال رسول الله (ص) وهي : ﴿ . . . **إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[1] .

---

(١) سورة هود ، الآية: (١١٤) .

نعم مرة أخرى نسلم من ضغطة القبر إذا محت حسناتنا سيئاتنا .

١٤ ـ الذنوب تقود إلى جهنم :

إن كل البلايا وكل ألوان العقاب لا تساوي شيئاً أمام عذاب جهنم فلو لم يكن من جهنم إلا الرائحة النتنة التي لو شمها أهل الجنة لنسوا ما هم فيه من النعيم لكفى .

لقد روي عن الإمام الصادق : « إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نارٍ عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل (القِدْر) ما يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه ، وما في النار أحد أهون عذاباً منه » .

وروي أيضاً : « إن الشمس صخرة واحدة من صخور جهنم » .

رويداً لنتأمل هذا الحديث معاً :

إن درجة حرارة الشمس تقدر على سطح الشمس بنحو :

ستة آلاف درجة مِئوية (٦٠٠٠ درجة) ، وتقدر درجة حرارتها في باطن الشمس بـ

عشرين مليون درجة مئوية (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ درجة) .

والحديد كما هو ثابت في الفيزياء ينصهر ويذوب عند درجة (١٥٠٠ درجة) ألف وخمسائة درجة مئوية ، فإذا كان الحديد يذوب عند درجة ألف وخمسائة درجة مئوية وحرارة الشمس في باطنها تقدر بعشرين مليون درجة (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ درجة) وهذه الشمس الملتهبة صخرة واحدة من صخور جهنم .

إذن ما حال جهنم ذاتها ؟

(اللهم أجرنا من عذاب جهنم يا مجير الصالحين) .

وروي عن الرسول (ص) : « لو أن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا

لأنتن أهل الأرض فهذا شراب أهل النار إذا استغاثوا من العطش » .

﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾[1] .

وقال أيضاً (ص) : « لو أن دلواً صُبت من غسلين في مطلع الشمس لغلت منه جماجم من مغربها » .

وقال أيضاً (ص) : « لو أن رجلاً أخرج من نار جهنم ، ووضع في نار الدنيا لأستطاع أن ينام من الراحة » .

إنه لحري بنا أن نقف طويلاً متفكرين أمام هذه الأحاديث وأمام الآيات التي تصف جهنم وعذابها وحتى نصل إلى درجة نكون فيها وكأن شهيق جهنم وزفيرها في أصول آذاننا كما هو حال الأتقياء الذين وصفهم أمير المؤمنين بقوله : « وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم » .

يقول الشاعر واصفاً حال سكن جهنم :

فأين الذي في النار كان مقامه ... فذاك مقام لا كريم وبارد
مقامعه فيها حديد وشربه صديد ... وأما جاره فالأساود[2]
ويأكل فيها من ضريع وقطعت ... من النار أثواب له ومجاسد

ويقول أمير المؤمنين في صفة النار وأهلها : «وألبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حرّه وباب قد أطبق على أهله في نار لها كَلَبَ[3] ولجب[4] ولهيب ساطع وقصيف[5] هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى

(١) سورة الكهف ، الآية: (٢٩) .
(٢) الأساود : الحيات السوداء التي تشبه البغال .
(٣) عبر بالكلب (محركاً) عن هيجانها .
(٤) اللجب: الصوت المرتفع .
(٥) القصيف: أشد الصوت .

أسيرها ولا تفصم[1] كبولها[2] ، لا مدة للدار فتفنى ولا أجل للقوم فيقضى»[3] .

ويقـول أيضاً في صفـة جهنم : « فاحـذروا ناراً قعـرها بعيـد ، وحـرهـا شديد ، ـ وشرابها صديد ـ وعذابها جديد ، ـ ومقامعها حديد ، لا يُفتر عذابهـا ولا يموت ساكنها ـ، دار ليس فيها رحمة ، ولا تسمع لأهلها دعوة »[4] .

وقال الإمام الباقر : « إن أهل النار يتعاوون كما يتعاوى الكلاب والذئاب مما يلقون أليم العذاب ، ما ظنك بقوم لا يُقضى عليهم فيموتوا ؟ ، ولا يخفف عنهم من عـذابها ؟ عـطاشى فيها ، جيـاع كليلة أبصارهم ، صم بكم عمي ، مسودة وجوههم ، خاسئين فيها نادمين ، مغضوب عليهم ، فلا يرحمون ، ومن العـذاب لا يخفف عنهم وفي النار يسجـرون ، ومن الحميم يشـربـون ، ومن الزقوم يأكلون ، وبكلاليب النار يحطمون وبالمقامع يضربون والملائكة الغلاظ الشـداد لا يرحمـون ، فهم في النار يسحبـون على وجوههم ، ومـع الشياطين يقـرنون ، وفي الأنكـال والأغلال يصفـدون ، إن دعوا لـم يستجب لهـم ، وإن سألوا حاجة لـم تُقْضَ لهم هذه حال من دخل النار » .

والسؤال الآن : لمن تكون هذه النار يا ترى ؟
أتكون لغير العصاة المذنبين ؟
بالطبع ، كلا .

قال عيسى ابن مريم : « كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح » .

وقال أمير المؤمنين : « إن في جهنم طواحن يطحن بها أفلا تسألوني مـا طحنها فقيل له : وما طحنها يا أمير المؤمنين ؟ قال : العلماء الفجرة ، والقراء الفسقة ، والجبابرة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء الكذبة ، وإن في النار

---

(١) تفصم : تنقطع .
(٢) الكبول : جمع كبل وهو القيد .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ .
(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٢٧ .

لمدينة يقال لها الحصينة ، أفلا تسألوني ما فيها ؟ فقيل : وما فيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : أيدي الناكثين » .

والقرآن الكريم غني بالآيات التي تتحدث عن صفات الناس الذين هم وقود جهنم فلا بأس بتلاوة القرآن والتوقف عن تلك الآيات للتفكر والتأمل .

فلولا عناد المعاندين وإصرار المجرمين وجحود الكافرين لما خلق الله النار ، لقد خلقها للذين أصروا على الإجرام ، وماتوا عليه ، بعد أن جاءتهم البينات ولم يجدوا سبيلاً لإنكارها وإن تظاهروا بذلك لأن نفوسهم ستفضحهم يومئذ وتقول لقد استيقنا تلك الأمور ، لكن اتباعكم لشهواتكم هو الذي جعلكم تكذبون وتقولون بأنكم في شك منها .

نعم إنها للذين أشركوا وفسقوا وكذبوا وعصوا وعتوا عن أمر ربهم عتواً كبيراً ، إنها للذين حادوا ، ومالوا عن جادة الحق ، وسلكوا درب الباطل بعد علمهم وبعد انكشاف الشبهات عنهم ، وبعد أن جاءتهم الرسل والنذر ، وبعد أن عُمرّوا مدةً يستطيعون فيها أن يراجعوا أنفسهم ويؤوبوا إلى رشدهم .

يقول أمير المؤمنين : « قد عُمِّروا مَهَلَ المُسْتَعْتَب وكشفت عنهم سُدَف الريب » يعني عاشوا مدة تكفيهم لمعاتبة أنفسهم وهدايتها لو أرادوا ، وأزيحت عنهم ظُلَم الشكوك .

وهذا الحديث يشير إلى الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾[2] .

هذه بعض العقوبات التي تسببها الذنوب والخطايا ، ذكرتها بشكل إجمالي وسريع كي يعرف القارىء الكريم بأن داء الإنسان منه ودواؤه فيه أيضاً وإن الأمر راجع إليه في إصلاح نفسه .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٨٣ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : (٣٧) .

جعلنا الله وإياكم ممن سمع الموعظة فعقلها ، وعرف خطر الجريرة فتجنبها ، إنه سميع مجيب ، ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[1] .

(١) سورة طه ، الآية: (٨٢) .

الفصل الثاني

١ـ لماذا الإستغفار ؟

٢ـ ما هي فوائد الإستغفار ؟

١ الإستغفار يطيل الأعمار .

٢ الإستغفار يفتح أبواب الرزق .

٣ الإستغفار واستجابة الدعاء .

٤ الإستغفار ونعمة البنين .

٥ الإستغفار والقوة البدنية والإيمانية .

٦ الإستغفار يكشف الهموم والغموم والبلايا .

٧ الإستغفار يقطع وتين الشيطان .

٨ الإستغفار يستر القبائح .

٩ الإستغفار يبدل السيئة حسنة .

١٠ الإستغفار يجلو رين القلوب .

١١ الإستغفار يساقط الذنوب .

١٢ الإستغفار ينجي من النار .

لماذا الإستغفار

ماذا تقول لو سألك شخص لماذا يصلح الملّاح سفينته ، ويحتاط كل الحيطة كي لا يكون فيها ثقب واحد ؟!

وماذا تقول لو سألك آخر لماذا إذا أراد الغواصون وأصحاب التجارب النزول في أعماق بحر يعيش فيه سمك القرش المفترس ينزلون في أقفاص حديدية ؟

وماذا تقول لو سألك ثالث لماذا يسرع الناس إلى المستشفيات لأخذ العلاج الواقي إذا ما سمعوا بانتشار وباء خطير ومعدٍ مثلاً في قُطرهم أو مدينتهم ؟

إن الجواب البديهي والطبيعي هو أن الخوف على الحياة هو الذي دفعهم للحفاظ على أرواحهم ، وتأمين حياتهم ، فهم يبحثون عن الأمان إذْ لا خير في الحياة بدون أمان .

ولكن الأمان الأهم والأكبر هو الإستغفار لأنه يُؤمِّن حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ، والحرص عليه والتمسك به أحرى وأولى .

قال رسول الله (ص): « عليك بالإستغفار فإنه المنجاة » .

وقال أمير المؤمنين: « كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع

أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به ، أما الأمان الذي رُفع فهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما الأمان الباقي فالإستغفار ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾[1] .

وقال أيضاً: « العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو؟ قال: الإستغفار » .

وقال أيضاً: « ما ألهم الله عبداً الإستغفار وهو يريد أن يعذبه » .

وعن أبي جعفر قال: « كان رسول الله (ص) يقول: مقامي فيكم والإستغفار حصن حصين من العذاب فمضى أكبر الحصنين وبقي الإستغفار فأكثروا منه فإنه ممحاة للذنوب»، قال الله عز وجل : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ .

فإذا لم يبادر الإنسان إلى التخلص من الذنوب بالإستغفار فإنها تعمل على تدميره في الدنيا والآخرة فتجعل حياته الدنيوية جحيماً لا تطاق من الكوارث والبلايا والمصائب ، وفي الآخرة يكون مصيره نزول الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير وسورات الزفير ، لا فترة مريحة ولا دعة مزيحة ، ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ، ولا سِنَةٌ مسلية بين أطوار الموتات ، وعذاب الساعات ، إنا بالله عائذون .

من هنا يكون الأحرى أن يقال لماذا التباعد عن الإستغفار لماذا الإستغمار ؟ لأن الذي يثير الدهشة ويبعث على القلق والخوف من طوارق الليل وحوادث النهار ، هو التباعد عن الإستغفار ، لذا على العاقل أن يكرر دائماً:

لماذا أنا متباعد عن الإستغفار ؟
ولماذا الأمن من مكر العزيز الجبار ؟
﴿ **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : (٣٣) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٩٩) .

فوائد الاستغفار

إن من أهم الفوائد التي يجنيها المستغفرون من الإستغفار مسألة (الأمان من النقمة) حيث أنه لا خير في حياة بلا أمان وإذا كانت النقمة من السماء فإن ذلك أن الإنسان قد خسر الدنيا والآخرة وذلك الخسران المبين . وقد أشرنا إلى هذا الأمر في الفقرة السابقة من هذا الفصل غير أن هناك فوائد كثيرة أخرى نذكر أهمها :

١ـ الإستغفار يطيل الأعمار :

كما إن أكثر الناس يموتون بالذنوب حيث تبتر أعمارهم كقوم لوط ، وقوم صالح ، وقوم هود ، وآل فرعون ، وأمثالهم ، حيث جعلتهم ذنوبهم عرضة لنقمة الله سبحانه وتعالىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين** ﴾[١] .

كذلك فإن كثيراً من الناس يكشف عنهم العذاب والبلاء ويعطون الزيادة في أعمارهم وذلك بالإستغفار من ذنوبهم وفعل الطاعات في دنياهم وخير مثال على ذلك قوم يونس حيث كشف الله عنهم العذاب ، وذلك بعد أن خرجوا إلى

(١) سورة الأنعام ، الآية : (٦) .

الصحراء مصطحبين أطفالهم وأغنامهم ومواشيهم حيث فرقوا بين النساء والرجال وبين الأمهات وأولادها وبين المواشي وصغارها ، بعد أن رأوا علامات العذاب ، وبكوا وضجوا وندموا على ذنوبهم وعاهدوا الله على أن يكونوا مخلصين في عبادته إن كشف عنهم العذاب وأكثروا من الإستغفار فكشف الله عنهم العذاب ومدّ في أعمالهم التي كادت أن تبتر وفرّق الله العذاب على الجبال المحيطة بمدينتهم ـ كما روي ـ فذابت تلك الجبال من شدة حرارة العذاب .

قال تعالى : ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** ﴾(١) .

فإيمان قوم يونس ورجوعهم إلى الله واستغفارهم من ذنوبهم كان السبب الأساسي في كشف العذاب عنهم وإطالة أعمارهم ، ولقد أشار القرآن بصراحة في مواضيع أخرى إلى أن الإستغفار يطيل الأعمار كقوله تعالى : ﴿ **وأن أستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ، وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير** ﴾(٢) .

فالآية الكريمة تدلنا على المعنى المزبور من جهتين :

الجهة الأولى :

قوله تعالى : ﴿ **يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى** ﴾حيث أن جزم الفعل ﴿ **يمتعكم** ﴾ بفعل الطلب ﴿ **استغفروا** ﴾ يدلنا على أن هناك أداة شرط محذوفة والمعنى ﴿ **إن تَسْتغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى** ﴾ أي يطيل أعماركم بمحو الأجل غير المسمّى أما الأجل المسمى فلا سبيل إلى محوه . لذلك قال: ﴿ **إلى أجل مسمى** ﴾ .

والجهة الثانية:

﴿ **وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير** ﴾ فإن المعنى الذي

---

(١) سورة يونس ، الآية : (٩٨) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٣) .

يتلألأ من الآية الكريمة التأكيد على الأمر السابق نفسه ولكن عن طريق الضد والأمور تعرف بأضدادها فقوله تعالى : ﴿ **وإن تولُّوا** ﴾ بعد أن قال : ﴿ **وأن أستغفروا** ﴾ دليل على أن المعنى وإن تولوا وأعرضوا عن الإستغفار الذي يطيل أعمارهم فإن أعمارهم ستبتر وإذا بترت فإن عذاب النار بانتظارهم لأنهم ماتوا وهم عصاة ولم يستغفروا ربهم من ذنوبهم .

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ **أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى** ﴾[1] .

ولقد دعا الله عباده إلى الإستغفار كما هو واضح في الآية السابقة ﴿ **وأن آستغفروا** . . . . ﴾ وعبارة ﴿ **يؤخركم إلى أجل مسمى** ﴾ دليل على إطالة الأعمار :

٢ـ الإستغفار يفتح أبواب الرزق :

إن من المسلمات أن الذي يتكفل بأرزاق الخلائق هو المنان الرحيم الذي لا توجد دابة على وجه الأرض إلا وعليه رزقها ، قال تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها** ﴾[2] .

حتى وإن كانت تلك الدابة نملة صغيرة فإن (المنان) لا ينساها ولا يغفلها ، يقول أمير المؤمنين : « أُنظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفِكَر ، كيف دبّت على أرضها وصُبَّت على رزقها ، تنقل الحبة إلى جحرها ، وتُعِدُّها في مستقرها ، تجمع في حرها لبردها وفي وِرْدِها لصَدَرِها[3] ، مكفول برزقها ، مرزوقة بوِفقها[4] لا يُغفِلها

(١) سورة إبراهيم ، الآية : (١٠) .
(٢) سورة هود ، الآية : (٦) .
(٣) الصدر ، بفتحتين : الرجوع بعد الورود .
(٤) وفقها ، بكسر الواو : أي ما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها .

المنان ولا يَحْرمها الديان ولو في الصفا[1] اليابس والحجر الجامس[2] »[3] .

نعم إن العقل والوجدان والحقائق الواضحة للعيان كل ذلك يدلنا على أن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق ولا رازق سواه .

﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾[4] .

بل هو الذي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء من عباده في الرزق لحكمة هو يريدها قال تعالى : **﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ﴾**[5] وقال تعالى : **﴿ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾**[6] .

ولقد تكررت هذه الآية كثيراً في القرآن وفي عدة سور ، بل إنها في بعض السور جاءت بأسلوب التوبيخ لكل من يزعم أن الرزق ليس بيد الله ويرافق التوبيخ نزول العذاب أيضاً وإليك مثالاً على ذلك . قال تعالى : **﴿ فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خوّلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ، قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ، أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾**[7]

إن هذه الآية من سورة الزمر تشرح لنا أمراً طالما حاول الكثير من الناس

---

(١) الصفا: الحجر الأملس لا شقوق فيه .
(٢) الجامس: الجامد .
(٣) انهج البلاغة ، خطبة: (١٨٥) .
(٤) سورة الذاريات ، الآية: (٥٨) .
(٥) سورة العنكبوت ، الآية: (٦٢) .
(٦) سورة سبأ ، الآية: (٣٩) .
(٧) سورة الزمر ، الآيات: (٤٩ ـ ٥٢) .

المراء فيه تعنتاً وغروراً فأصابهم سيئات ما كسبوا وما قارون ومن هلك معه عنا ببعيد . ثم تشير الآية إلى أن من يسلك مسلكهم من الأمم والأجيال اللاحقة سيكون مصيرهم كمصير من سبقهم .

ذلك الأمر هو ادعاؤهم أن الرزق الذي عندهم والنعمة التي يتمتعون بها وكل ما عندهم من الخيرات إنما جاء ذلك نتيجة عنائهم وكدحهم وتفكيرهم وتخطيطهم ، ولو فكروا هنيئة لعلموا أن لا يد لهم في ذلك كله إلا بإذن الله حيث أن الله سبحانه هو الذي رزقهم نعمة الوجود ورزقهم نعمة البقاء ونعمة التخطيط ونعمة القوة لاكتساب الرزق ونعمة التوفيق ونعمة العافية وجعل لهم أيد يبطشون بها وأرجلاً يمشون بها وأعيناً يبصرون بها وآذاناً يسمعون بها ومِيَرة[1] يتقوّون بها ولولا ذلك كله لما استطاعوا اكتساب ما حصلوا عليه ولو شاء الله لجعلهم صماً بكماً عمياً ضعفاء مرضى لا يقدرون على شيء من ذلك كله أبداً لذا كان من المناسب جداً أن يقول في آخر هذه الآية ﴿ **أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾[2] لتبيان أن الرزق يرتبط ارتباطاً تاماً بمسألة الطاعة والعصيان لأوامر الله سبحانه وتعالى فكما أن الذنوب تمحق الرزق والبركة فالإستغفار من تلك الذنوب مجلبة للخيرات ومورثة للبركات .

ولقد دلت الآيات الواضحات والروايات المتواترات على ذلك ، قال تعالى على لسان نبيه نوح: ﴿ **فقلت آستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** ﴾[3] .

والآية الكريمة تشير إلى أن إرسال السماء معلق على إتيان الإستغفار والمعنى إن تستغفروا ربكم يرسل السماء ويرسل مجزوم غير أن التقاء الساكنين منع من ظهور السكون على اللام فكسرت والمراد بالسماء: السحاب فإن كل ما

---

(١) الميرة: المؤونة والزاد .

(٢) سورة الزمر ، الآية: (٥٢) .

(٣) سورة نوح ، الآيات: (١٠ ـ ١٢) .

علا وأظل فهو سماء . وقيل الغيث وهو شائع في الإستعمال . والمدرار مبالغة من الدَّر وأصل الدَّر للَّبن ثم استعير للغيث ولكل فائدة ونفع . فإرسال السماء مدراراً إرسال سحب تمطر أمطاراً متتابعة نافعة تحيي بها الأرض وينبت الزرع والعشب وتتحلى الأشجار بكثرة الثمار وترخص الأسعار وتبسط البركة جناحيها على الناس فتكثر أموالهم وأرزاقهم وخيراتهم وكل ذلك بسبب الإستغفار .

وقال تعالى على لسان نبيه هود: ﴿ **ويا قوم آستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً** ﴾ (١)

وقال الرسول (ص): « من أنعم الله عز وجل عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن أحزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقال إمامنا أمير المؤمنين: « وقد جعل الله سبحانه الإستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال سبحانه: ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً** ﴾ فرحم الله عبداً استقبل توبته وآستقال خطيئته وبادر منيته »(٢) .

وقال في وصيته لكميل بن زياد النخعي: « إذا أبطأت الأرزاق عليك فآستغفر الله يوسع عليك فيها » .

وقال أيضاً: « الإستغفار يزيد في الرزق » .

وقال أيضاً: « أكثروا الإستغفار تجلبوا الرزق » .

وقال أيضاً: « إستغفر ترزق » .

وقال الإمام الصادق: « إذا استبطأت الرزق فأكثر من الإستغفار فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿ **آستغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم**

---

(١) سورة هود ، الآية: ٥٢ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة: ١٤٣ .

مدراراً **ويمددكم بأموال وبنين ﴾** يعني في الدنيا » .

غير أن الناس يطردون الرزق عنهم بأعمالهم ويضعون أنفسهم بين أنياب الفقر بذنوبهم . قال تعالى : **﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**(1) .

وقال تعالى : **﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾**(2) .

٣- إستجابة الدعاء:

كما أن الذنوب تمنع استجابة الدعاء فإن الإستغفار منها يجعله عرضة للإستجابة وذلك لأن المانع قد ارتفع وهو الذنوب وحيث أن الله سبحانه قد أخذ على نفسه أن يجيب دعوة من دعاه فإنه إذا تحققت شروط الإستجابة والتي تندرج تحت قائمة رفع الحجب المانعة من المعاصي والذنوب إذا تحققت تلك الشروط حصلت الإستجابة لعدم جواز نسبة الكذب أو خلف الوعد إليه سبحانه . مع لحاظ أن المستغفر من ذنبه كمن لا ذنب له . ولقد دلّ القرآن على ذلك صراحة حيث قال: **﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فآستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾**(3)

لو تأملنا عبارة **﴿ فآستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾** ، وتأملنا قوله تعالى : **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان ﴾**(4) . لوجدنا أن الآية الأولى تقول **﴿ إن ربي قريب مجيب ﴾** والآية الثانية تقول : **﴿ فإني قريب أجيب دعوة الداعِ ﴾** ، والمعنى الجوهري واحد ولوجدنا أن الرابط بين عبارتي **﴿ فآستغفروه ثم توبوا إليه ﴾** وعبارة **﴿ إن ربي قريب مجيب ﴾** في الآية الأولى هو تبيان أن الاستغفار طريق لاستجابة الدعاء

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : (٥٣) .
(٢) سورة النحل ، الآية : (١١٨) .
(٣) سورة هود ، الآية : (٦١) .
(٤) سورة البقرة ، الآية : (١٨٦) .

وكأن المعنى « فآستغفروه تُجَبْ دعواتكم »

٤ـ الإستغفار ونعمة البنين:

لا تحلو الحياة إلا بزينتها والتي منها نعمة الأولاد قال تعالى: « المال والبنون زينة الحياة الدنيا »[١]. وكم ضاقت الدنيا بما رحبت على كثير من الناس لا لقلة المال عندهم، ولا لمرض خطير أقعدهم، ولا لقلق أو أرق أو اضطراب قضّ مضاجعهم، ولا لشيء سوى أنهم حرموا نعمة الأولاد فتراهم يجوبون الأرض براً وبحراً ويبذلون أغلى ما لديهم وربما صرفوا من المبالغ ما يصعب على الخيال تصوره بحثاً عن علاج أو دليل يرشدهم إلى من يفرج همومهم ويصل بهم إلى مناهم. غافلين عن أن الأمر كله راجع إلى الله سبحانه حيث يقول: ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير** ﴾[٢].

نعم الأمر كله راجع إليه سبحانه فهو الذي برحمته جعل زوجة نبيّه إبراهيم تحمل وتلد، وقد تجاوزت سن اليأس بل تجاوزت التسعين من عمرها يقول صاحب المجمع: وهي إبنة ثمان وتسعين سنة أو تسعة وتسعين سنة وكان شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين سنة أو مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما. قال تعالى: ﴿ **وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾[٣].

وهو الذي رزق نبيه زكريا ولداً ﴿ **مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين** ﴾[٤].

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٤٦).
(٢) سورة الشورى، الآية: (٤٩ ـ ٥٠)
(٣) سورة هود، الآيات: (٧١ ـ ٧٣).
(٤) سورة آل عمران، الآية: (٣٩).

هذا وقد كان وقت ذاك إبن مائة وعشرين سنة وآمرأته بنت ثمان وتسعين سنة كما قال إبن عباس (في مجمع البيان ج٢ ، ص٧٤) قال تعالى : ﴿ **قال رب أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وآمرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء** ﴾ (١) .

وهو الذي خلق عيسى من دون أب وهو مسبب الأسباب وخالق الأسباب ومدبر الأمور وباعث من في القبور . ومن ذا يقدر على ذلك سواه ؟ ومن ذا يسعه فعل شيء من ذلك بدون إذنه ؟

نعم إن الأخذ بالإسباب ضرورة والأمور لا تجري إلا بأسبابها . غير أنه لا بد أن نعلم أن هناك الكثير من الناس توجد عندهم قابلية الإنجاب صحياً لكنهم لا ينجبون! وعندما نتعمق لمعرفة الأسباب الرئيسية نرى أنه بعضهم عاق لأبيه وقد دعا عليه أبوه فحرم من الأولاد وبعضهم ظالم لأمه وقد شقت الأم جيبها وهي في محراب صلاتها داعية عليه بأن يحرمه الله هذه النعمة فحرم منها وبعضهم احتال على فقير فسلبه قوت عياله فآنتقم الله منه وهكذا وآنتقام الله سبحانه من البعض وترك البعض الآخر لا يدل على أنه سبحانه لا يأخذ بالذنوب ، بل إن الله يأخذ من يشاء بذنبه لمصلحة ارتضاها ، ويترك من يشاء متمادياً في غيّة لحكمة اقتضاها . قال تعالى : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون** ﴾(٢) .

وحيث أن الأمر كله لله فإن المستغفر من ذنوبه أهل لأن يجود الله عليه بهذه النعمة لأنه حينئذ (حبيب الله) ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ (٣) .

هذا إن لم يعد الله سبحانه المتسغفرين بهذه النعمة أما مع وعده سبحانه بذلك فإن الشك فيه يعتبر ضرباً من ضروب الكفر . وعلّك تسأل : أين وعد الله

(١) سورة آل عمران ، الآية : (٤٠) .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : (٢٣) .
(٣) سورة البقرة ، الآية : (٢٢٢) .

بذلك ؟ والجواب قوله تعالى : ﴿ **فقلت آستغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** ﴾ (١)

فقوله : ﴿ **وبنين** ﴾ واضح في الدلالة على ذلك وقوله : ﴿ **يمـددكم** ﴾ دليل على أن النعمة لا تتوقف لأن الإمداد معناه هو العطاء المتواصـل الذي لا ينقطع خاصة أن الفعل ﴿ **يمددكم** ﴾ مجزوم ممـا يدلنـا على أن المعنى « إن تستغفروا يمددكم » وعن عطاء أن معنى ﴿ **يمددكم بأموال وبنين** ﴾ أي يكثـر أموالكم وأولادكم الذكور .

وروى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكى إليه التجدوية فقال له الحسن إستغفر الله ! وأتاه آخر فشكى إليه الفقر

فقال له : إستغفر الله !

وأتاه آخر فقال : أدعُ الله أن يرزقني إبناً

فقال له إستغفر الله !

فقلنا : أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالإستغفار

فقال : ما قلت ذلك من ذات نفسي إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح أنه قال لقومه : ﴿ **آستغفروا ربكم إنه كـان غفاراً يـرسل السمـاء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين . . . .** ﴾ الآية .

وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال : سأل رجل الإمام أبا جعفر وأنا عنده فقال له : جعلت فداك إني كثير المال وليس لي ولد فهل من حيلة

قال : الله يقول ﴿ **آستغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل السماءَ عليكم**

---

(١) سورة نوح ، الآيات : (١٠ ـ ١٢) .

مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾

فها هو القرآن قد أوضح لنا داءنا ودواءنا فهل نعتبر ؟

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾[١] .

٥ـ القوة البدنية والإيمانية :

من الثابت علمياً أن البدن يتأثر بالروح ، فإذا كانت الروح مريضة يتهأثر بذلك البدن سلبياً ، وإذا كانت الروح لا تحمل مرضاً تأثر بذلك البدن إيجابياً . فالإستغفار يطهر الروح من أمراض الحقد والحسد والغيبة وظلم العباد ، وما شابه ذلك فإذا ارتاحت الروح من هذه الأمراض إعشوشب البدن وزادت قوته ألا ترى الذين يحقدون على الناس أو يحسدونهم على ما أتاهم الله من فضله يعذبون أنفسهم ويسرعون بها إلى المشيب كما قال أمير المؤمنين « الهم نصف الهرم » . ولعل المثل الشائع (من راقب الناس مات هماً) يكون صحيحاً . ولقد أشار القرآن الكريم بوضوح تام إلى أن الإستغفار يقوي الإنسان بدنياً وإيمانياً قال تعالى في سياق الحديث عن قوم عاد ونبيهم هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : **﴿ ويا قوم آستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾**[٢] .

فقوم عاد كانوا أقوياء بدنياً إلى درجة أنهم بنوا مدينة عظيمة لا مثيل لها تسمى (إرم) قال تعالى : **﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾**[٣] .

فبناؤهم لهذه المدينة العظيمة دليل على قوتهم ، وقوله تعالى : **﴿ يزدكم قوة إلى قوتكم ﴾** دليل على أن القوة هنا قوة البدن من حيث أن زيادة القوة إلى

---

(١) سورة قٓ ، الآية : (٣٧) .

(٢) سورة هود ، الآية : (٥٢) .

(٣) سورة الفجر ، الآيات : (٦ ـ ٨) .

القوة إشارة إلى ذلك لأن الأصل قوة البدن وكأن المعنى « استغفروا ربكم فإنكم إذا استغفرتم الله زادكم الله قوة فوق قوتكم » .

وهناك من المفسرين من قال: القوة هنا قوة المال والولد والشدة ، وكل ذلك مما يتقوى به الإنسان . وهناك من قال بأن المراد من زيادة القوة هنا: زيادة قوة الإيمان على قوة الأبدان ولعل الجمع بين قوة الإيمان وقوة الأبدان أولى ، وذلك لأن الإستغفار يزيد الإيمان ويضاعف قوته وهذا واضح لذي لب ، ووضوح هذا الأمر أغنانا عن إيضاحه . ويزيد قوة البدن كما أوضحنا في الأسطر القليلة السالفة الذكر .

٦ـ الإستغفار يكشف الهموم والغموم والبلايا:

إذا هيمنت الهموم على أحد سلبته راحته وأبدلت نعيم حياته جحيماً ولم يك ينفعه حينئذ مالٌ ولا جاه ولا منصب فكم رأينا ونرى الكثير من الأثرياء الذين بسطت الدنيا أجنحتها تحت أقدامهم ، يعيشون حياة نكدة ، قد تنغصت لذائذها وتكدر صفوها ، ومن جانب آخر نرى الكثير من الفقراء الذين يفترشون الحُصُر المرقعة ويقتاتون الطعام الجشب ينعمون بسعادة لا يحلم بها الكثير ممن أقبلت عليهم الدنيا بكل زخارفها . وحينما نتأمل سبب ذلك نرى أن الهموم قد بركت بثقلها على قلوب الأثرياء في الوقت الذي يعيش الفقراء متخلين عن هموم الدنيا قد علموا أنها ليست لهم بدار فاتخذوها دار سفر لا دار مُقام . نعم إنها هموم الدنيا التي تجعل الحياة موتاً والضياء ظلاماً ، والألفة فرقة ، والمحبة بغضاً .

فهلا سألت عن المخرج من هذه الهموم والغموم ؟

رويداً . . . . إنه بين يديك!!!

إنه الإستغفار وما أدراك ما الإستغفار ؟ إنه النجاة من كل نقمة ومن كل هم وغم .

قال النبي (ص): « من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » أخرجه إبن ماجه .

وقال (ص) أيضاً: « من كثرت همومه فليكثر من الإستغفار »

وقال (ص) أيضاً: « إدفعوا البلايا بالإستغفار » .

وعن محمد بن الريّان قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث أسأله أن يعلمني دعاءً للشدائد والنوازل والمهمات ، وأن يخصني كما خص آباؤه مواليهم فكتب إليّ « إلزم الإستغفار »! .

نعم إنه إذا استغفر الإنسان ربه ، وزهر مصباح النور في قلبه ، تجلت عظمة الخالق في نفسه ، وعندها تصغر الدنيا وما فيها من أملاك وزخارف وحطام في عينيه . فعندها يتخلص من المهوم والغموم ، لأن الدنيا هي مصدر الهموم والغموم ، وإذا استطاع الإنسان قلع حب الدنيا من قلبه تمكن من قلع الهموم والتخلص منها يقول أمير المؤمنين: « ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث: هم لا يغبّه وحرص لا يتركه ، وأمل لا يدركه » . فقوله « التاط أي التصق » وقوله « هم لا يغبه » أي لا يتركه ولا ليوم واحد ، يقال زيدٌ غَبّ القوم إذا كان يحضر يوماً ويغيب آخر أما الهم فلا يغب ولا يدع محب الدنيا أبداً .

٧ـ الإستغفار يقطع وتين الشيطان:

أتعرف الشيطان ؟ أتعرف ما يريد ؟ أتعرف ما صنع بك وبالسابقين من أبائك وأجدادك ؟

إنه العدو المبين الذي تحدى وتكبَّر وتجبَّر وقرر أن يقعد للناس صراط الله المستقيم ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾[1] . وهو الذي يريد أن يضل الناس ضلالاً بعيداً قال تعالى: ﴿ **ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾[2] . ويريد أن يوقع بين الناس العداوة والبغضاء والخصومات والمشاحنات قال تعالى: ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة**

(١) سورة الأعراف ، الآية: (١٦) .

(٢) سورة النساء ، الآية: (٦٠) .

والبغضاء ﴾[1] ، ويريد أن يجرد الناس من سترهم وحيائهم وإيمانهم . قال تعالى : **﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾**[2] .

ولقد أضل الشطان الكثير ممن سبق من الأمم السالفة والأقوام الغابرة قال تعالى : **﴿ ولقد أضل منكم جِبِلّاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾**[3] .

ولا يزال الشيطان يصد الناس عن الدين والحق صدوداً يعطيهم من الوعود الكاذبة والأماني الزائفة الكثير الكثير **﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾**[4] .

يقول أمير المؤمنين في وصف علاقة الشيطان بالإنسان : « والشيطان مُوكَّلٌ به ، يزيّن له المعصية ليركبها ويمنّيه التوبة ليسوفها[5] »[6] .

ويقول أيضاً : « إن الشيطان يسنّي[7] لكم طرقه ، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ، ويعطيكم بالجماعة الفرقة ، وبالفرقة الفتنة ، فاصدفوا[8] عن نزغاته[9] ونفثاته »[10].

وقال أيضاً : « فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه ، وأن يستفزكم بندائه وأن يجلب عليكم بخيله ورجله[11]، فلعمري لقد فَوَّق لكم سهم الوعيد

---

(١) سورة المائدة ، الآية : (٩١) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : (٢٧) .
(٣) سورة يسٓ ، الآية : (٦٢) .
(٤) سورة النساء ، الآية : (١٢٠) .
(٥) يسوّفها : يؤخرها ويؤجلها .
(٦) نهج البلاغة : الخطبة ٦٢ .
(٧) يسني : يسهل .
(٨) فأصدفوا : فأعرضوا .
(٩) نزعاته : وساوسه .
(١٠) نهج البلاغة : الخطبة ١٢١ .
(١١) ورجله : أي مشاته ، والمقصود دعاة السوء .

وأغرق إليكم بالنَّزْع [1] الشديد ورماكم من مكان قريب ، فقال: ﴿ **ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين** ﴾[2] .

نعم المطلوب هو الحذر منه والإنتصار عليه ، والتخلص من فخاخه وإخضاعه بل وتدميره وقطع دابره ولكن ما هي السبل التي تقود سالكها إلى فعل ذلك ؟

إن أهم تلك السبل هو الإستغفار .

قال الرسول (ص) لأصحابه: « ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب ؟

قالوا : بلى .

قال: الصوم يسود وجهه ، والصدقة تكسر ظهره ، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره والإستغفار يقطع وتينه ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام » .

والوتين: هو عرق يسقي الكبد واذا انقطع مات صاحبه ـ على ما ذكره الراغب ـ وقيل هو رباط القلب .

﴿ **وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون** ﴾[3] .

٨ـ الإستغفار يستر القبائح :

إذا أكلت طعاماً من طبيعته أن يترك في الفم رائحة كريهة يتضايق منها الناس ، وأنت في نفس الوقت لا غنى لك عن لقيا الناس فماذا تصنع ؟ وكيف تلتقي بالناس بحيث لا يشمون منك تلك الرائحة المزعجة ؟ إن المسألة بسيطة

---

(١) النزع في القوس: مدها .

(٢) نهج البلاغة: الخطبة١٩٢ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيتين: (٩٧ ـ ٩٨) .

للغاية عندك أليس كذلك ؟ تقول آخذ شيئاً من الطيب وأنثره عليّ حتى ينشغل الناس بشم الرائحة الزكية الحسنة عن تلك الرائحة النتنة . نعم إن هذا التصرف هو عين التعقل حيث حولّت الرائحة الكريهة المنبوذة إلى رائحة حسنة تحبّبك إلى الناس وتقرّبهم من مجالسك .

والآن هل تعلم:

أن للذنوب روائح أكثر نتانة وكراهة يشمها الناس على بعد آلاف الأميال ؟ نعم إنها الذنوب التي إذا فعلها صاحبها في المشرق فاحت رائحتها القذرة في المغرب فيفتضح هنالك وتتكشف مساوؤه وعيوبه ورب قائل إنني أفعل الذنوب ولا أحد يدري بها فكيف أفتضح بروائحها ؟

والرد على ذلك هو أن السائل غفل أو تغافل عن حقيقة أنه ما أضمر أمرؤ شيئاً (سواء من الذنوب أو غيرها) إلا وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه . كما أنه ربما نسي أو تناسى أن الإنسان إذا فعل قبيحاً في خلواته ولم يعلم بذلك الناس فذلك لطفٌ من الله سبحانه به حيث ستره ستار العيوب .

فالإنسان يذنب والمولى عز شأنه يستر وهكذا حتى يستوجب هذا العبد الفضيحة فيفضحه الله بذنوبه ولنا فيمن فضحتهم ذنوبهم من الأمم السابقة والأقوام اللاحقة عبرة .

نعم كما أن من أكل طعاماً ذا رائحة يحتاج إلى عطر يصرف به تلك الرائحة ويحولها إلى رائحة حسنة طيبة فكذلك نحن بأمسّ الحاجة إلى أن نتعطر بالإستغفار حتى لا تنبعث منا روائح الذنوب والمعاصي يقول أمير المؤمنين: « تعطروا بالإستغفار كي لا تفضحكم روائح الذنوب » .

إن كلام الإمام يدلنا صراحة على أن للذنوب روائح فاضحة لا يسترها إلا الاستغفار . ﴿ وآستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾(١) .

---

(١) سورة المزمل ، الآية: (٢٠) .

٩ـ الإستغفار يبدل السيئة حسنة:

كما أن العطر يبدل الرائحة الكريهة المرفوضة إلى رائحة حسنة محبوبة كذلك الإستغفار فإنه يبدل السيئة إلى حسنة وهذا من لطف الله سبحانه وكرمه بعباده .

جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق أنه قال: « أوحى الله عز وجل إلى داوود النبي يا داوود إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحى مني عند ذكره غفرت له وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين » .

وقال عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ **فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾[1] هذه فيكم ، إنه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل فيكون هو الذي يلي حسابه حتى يوقفه على سيئاته كلها كل ذلك يقول « أعرف » فيقول: سترتها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ابدلوها لعبدي حسنات فترفع صحيفته للناس فيقولون سبحان الله!! « أما كان لهذا العبد سيئة واحدة ؟!!! » .

إنه الكرم الذي لا يعرف الحدود إنه كرم من هو أرحم بالعبد من أمه الحنون إنه كرم من يتحبب إلى عباده في الوقت الذي يتبغضون إليه ويتقرب إليهم في الوقت الذي يتباعدون عنه . ﴿ **ويا قوم آستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا** ﴾[2] .

١٠ـ الإستغفار يجلو رين القلوب:

يُعتبر القلب إمام الجسد فكل ما تفعله الجوارح من أعمال اختيارية آت من القلب . لذا فمرض القلب أخطر بكثير من مرض البدن . يقول أمير المؤمنين: « ألا وإن من البلاء الفاقة وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من

(١) سورة الفرقان ، الآية: (٧٠) .

(٢) سورة هود ، الآية: (٥٢) .

مرض البدن مرض القلب » .

وأمراض القلب كثيرة كالحقد والحسد والبخل وسوء الظن والريبة والشك والإنكار والعداوة في غير موضعها ، وما شابه ذلك . وإن أمراض القلب لهي أشد فتكاً بالإنسان وبالمجتمع من أمراض البدن .

وأمراض القلب أساسها الوحيد: « الذنوب والمعاصي » التي تغير سلوك الفطرة وترين على القلوب فتحجب نورها كما يحجب السحاب نور الشمس وكلما كان السحاب أكثر سمكاً كلما كان احتجاب الشمس أكثر بل ربما تحول النهار إلى ليل إذا تراكمت السحب على بعضها البعض كذلك يتحول نور القلب إلى ظلام حينما تتراكم عليه سحب الذنوب والمعاصي .

قال تعالى : ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ [1] .

وجاء في الحديث الشريف: « إنما قست القلوب لكثرة الذنوب »[2] إذن وبعد إتضاح ما ذكرنا من منا لا يريد أن يعرف السبيل إلى تطهير هذه القلوب مما ران عليها ؟ لا شك أن كلنا يريد ذلك . . . . .

والسبيل إلى تطهير القلوب مما ران عليها هو الإستغفار ولا شيء كالإستغفار .

قال رسول الله (ص): « إن للقلوب صداءً كصداء النحاس فاجلوها بالإستغفار »[3] رواه الطبري .

ويقول الإمام الباقر: « لكل شيء دواء ودواء الذنوب الإستغفار »[4] .

وقال تعالى : ﴿ **لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** ﴾ [5] .

---

(١) سورة المطففين ، الآية: (١٤) .
(٢) الوسائل: ج١١ ص٣٣٧ باب ٧٦ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه حديث ٥ .
(٣) الوسائل: ج٤ ص١١٩٨ باب ٢٣ من أبواب الذكر حديث ٥ .
(٤) الكافي : ج٢ ، ص٤٣٩ باب الإستغفار من الذنب ح٨ .
(٥) سورة النمل ، الآية: (٤٦) .

١١ـ الإستغفار يساقط الذنوب:

يقول الإمام الصادق: « من استغفر الله مائة مرة حين ينام بات وقد تحاتت الذنوب كلها عنه كما يتحات الورق من الشجر ويصبح وليس عليه ذنب »[١] .

ويقول الإمام الرضا: « مثل الإستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فتناثر »[٢] .

نعم إن الإستغفار ليساقط الذنوب ويمحوها وإن كانت مثل زبد البحر بل وإن كانت عدد قطرات مياه البحار والأنهار كما دل القرآن الكريم والروايات عن الرسول (ص) وأهل بيته الطاهرين .

قال تعالى: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾[٣] .

قال تعالى: ﴿ **وآستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود** ﴾[٤] .

١٢ـ النجاة من النار ودخول الجنة :

قال حذيفة رضي الله عنه « كنت ذَرِب[٥] اللسان على أهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار فقال الرسول (ص) فأين أنت من الإستغفار في اليوم مائة مرة »[٦] .

إين أنت من الإستغفار ؟

هكذا رد الرسول الأكرم (ص) على حذيفة يعني يا حذيفة أتخشى النار

(١) الوسائل: ج٤ ص١٠٢٩ باب ١٣ من أبواب التعقيب ، حديث٢ .
(٢) الكافي: ج٢ ، ص٥٠٤ باب الإستغفار ، ح٣ .
(٣) سورة الزمر ، الآية: (٥٣) .
(٤) سورة هود ، الآية: (٩٠) .
(٥) يقال ذَرِب لسانه ، إذا كان شتاماً فاحشاً لا يبالي بما قال .
(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه ، ص٥١١ .

والمنقذ منها في متناول يديك ؟ ألا وهو الإستغفار .

ولقد دل القرآن الكريم على ذلك حيث يقول على لسان الجن الذين انصرفوا إلى قومهم منذرين بعد سماعهم له . ﴿ **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وَيُجِرْكُم من عذاب أليم** ﴾ (١) .

فإجابة داعي الله تكون بالإستغفار وغيره والنتيجة غفران الذنوب والنجاة من النار .

قال تعالى : ﴿ **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين** ﴾(٢) .

فالآية الكريمة صريحة في أن الذين لا يستغفرون الله يكونون مجرمين بإصرارهم على المعاصي ومن المعلوم أن المجرمين في جهنم .

قال تعالى : ﴿ **إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون** ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار** ﴾(٤) .

ولا يكون ثواب المستغفرين النجاة من النار فقط . بل ودخول الجنة أيضاً والفوز بنعيمها . قال تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فآستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلو وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** ﴾(٥) .

فهل بعد هذا النعيم نعيم ؟!! لقد تبين لك عزيزي القارىء من هذا

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية : (٣١) .
(٢) سورة هود ، الآية : (٥٢) .
(٣) سورة الزخرف ، الآية : (٧٤) .
(٤) سورة إبراهيم ، الآيتان : (٤٩ - ٥٠) .
(٥) سورة آل عمران ، الآيتان : (١٣٥ - ١٣٦) .

الفصل كيف أن الإستغفار يطيل العمر ويفتح أبواب الرزق والنعم ويكشف الهموم والغموم ويدفع البلايا ويستر القبائح ويجلو رين القلوب ويساقط الذنوب ويحتها حت الورق ، ويهيء الدعاء للإستجابة ، ويعطي صاحبه هيبة الإيمان ونور المتقين ، ويخلصه من النار ، ويدخله الجنة ، فأي عاقل يسترخص هذه الأمور ؟ ؟ ؟ إنه لا يسترخصها إلا من نسي نفسه ، وضل طريقه وتاه عن رشده ، وطبع على قلبه .

﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله وآستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ [١] .

---

(١) سورة محمد ، الآية : (١٩) .

الفصل الثالث

والبحث فيه يدور حول ركنين هامين :

أولاً : الكيفية الخاطئة للإستغفار .

ثانياً : الكيفية الصحيحة للإستغفار . . .

وتتكون من أمرين :

١ ـ تحقيق دعائم الإستغفار .

٢ ـ الإستغفار بآدابه وشروطه .

المبحث الأول

الكيفية الخاطئة للإستغفار :

يتصور كثير من الناس أن الإستغفار هو أن يقول الإنسان بلسانه (أستغفر الله) وفقط ظاناً أنه إذا فعل ذلك سُجّل في عداد المستغفرين الذين تُفتح لهم بركات السماء والأرض وتُزيّن لهم جنة الفردوس .

مع أن هذا الإنسان قد يكون في الغالب من المستهزئين بالله والمستوجبين سخطه وعذابه ، حيث أنه يقول : (أستغفر الله) بلسانه ، ويصر على المعاصي والذنوب بل والكبائر بعمله ، فما قيمة الإستغفار باللسان إذا كان العمل يخالف ذلك ؟

ألا يعد ذلك استهزاءً بالله سبحانه ، وبأوامره ونواهيه ؟ ثم ها نحن نرى الكثير من الناس يستغفرون الله ولا نراهم ينالون شيئاً مما وعد الله به المستغفرين من إطالة العمر ومن استجابة الدعاء ومن كشف الهموم ودفع البلايا وستر القبائح ، وراحة الضمير وما شابه ذلك .

فهل يسعنا أن نتهم الله سبحانه في صدق وعده! ؟!! أم يجب أن نتهم هؤلاء وأمثالهم في صدق استغفارهم ؟ ؟

إننا نقول هذه الكلمة (أستغفر الله) وربما نكررها كثيراً في كل يوم ولكن في نفس الوقت نرتكب المعاصي ، و لانندم على فعلها ، ولا نجد من أنفسنا

عزماً على تركها بل نعلم أننا عائدون إليها إن مُدّ لنا في أعمارنا ومع ذلك نقول أستغفر الله .

ألا يعتبر هذا استخفافاً بجلال الله سبحانه وعظمته ؟

إن ظهورنا مثقلة بمظالم العباد ، ولا نرانا عـازمين على ردّ تلك المظالم إلى أهلها ، بل ولا تكاد ترانا نفكر في ذلك ، وكأن حقوق الناس قد أصبحت مغنماً كبيراً لنا ومع ذلك ترى الكثير منا يقول هذه العبارة (أستغفر الله) فما رأيك في هكذا استغفار ؟ ؟ أترضى أنت أن يغفر الله لهكذا أناس ؟؟؟ .

لو جاءك شخص وظلمك ، وغصب حقك وطعن في كرامتك بدون وجه حق ، ثم ذهب إلى داره ، وكشف لك عن الغطاء ورأيته يقول (أستغفر الله) مع أنـه لا يزال مصـراً على فعله ، أكنت ترضى بـاستغفاره ؟ ؟ أم كنت تعـده من المنافقين وأكابر المجرمين ؟ ؟

إننا لو تأملنا تلك العطايا التي يتحصل عليها الإنسان من الإستغفار والتي أشرنا إليها في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، ورأينا أنفسنا صفْر اليدين منها ، وفكرنا في سبب ذلك ملياً ، لعلمنا بأننا إنما حـرمنا منهـا لأننا أخـطأنا الكيفيـة الصحيحة للإستغفار ، وأمسينا متمسكين بالقشور تاركين اللباب ، فحريّ بنا أن نتعرف على معنى الإستغفار الصحيح وعلى كيفيته المبتغاة كي نكون أهلاً للفوز بتلك العطايا .

المبحث الثاني

ما هي الكيفية الصحيحة للإستغفار ؟؟

الإستغفار الصحيح الذي أمرنا الباري عز شأنه به وحثت السنة الشريفة عليه ووعدت الآيات الكريمة صاحبه بالخيرات الحسان وراحة الوجدان ونعيم الجنان ، لا يكون إلا باجتماع أمرين هامين :

أولاً : تحقيق دعائم الإستغفار .

ثانياً : الإستغفار بآدابه وشروطه .

ولأن هذا الفصل يعتبر من الفصول المهمة إن لم يكن أهمها وذلك لغفلة الناس وجهلهم بحقيقة الإستغفار وأخذهم الأمور بقشورها الأمر الذي جعل الكثير منهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً مع أنهم بعيدون كل البعد عن ذلك لذا نشير إلى هذه الأمور الثلاثة بنوع من التفصيل .

أولاً تحقيق دعائم الإستغفار

الإستغفار مبني على دعائم ست ، وتحقيقها يعتبر من أولويات الإستغفار ومقدماته بمعنى أنه قبل أن يقول الإنسان (أستغفر الله) عليه أن يحقق تلك الدعائم وهي :

١ ـ الندم على ما مضى :

وهذا لا يتم إلا بالتفكير . . . ! ولكن ليس كل تفكير . . . ! فالتفكير المطلوب ليس في إعداد الشهادة أو التفكير في بناء منزل جميل في هذه الدنيا ، أو التفكير في تنمية أرباح الأسهم وشراء العقارات ، وما شابه ذلك .

إن التفكير المطلوب هو أن يفكر الإنسان في نفسه ، وكيف أتى إلى هذه الدنيا ، وكيف أنه لم يكن حيناً من الدهر شيئاً مذكورا ؟ ثم كان ومن الذي كوّنه ؟ ومن الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ؟ ومن الذي زينها بالنجوم السواطع ؟ ومن الذي بيده أزمة هذا الكون المنظم المتكامل الذي تجتمع أنظمته المختلفة لتشكل نظاماً واحداً متكاملاً متسقاً لا تجد فيه عِوجاً ولا أَمْتاً ، ومن الذي خلق الموت وقهر به العباد ؟ وهل ما جاء به الصادقون من الرسل والأنبياء والأولياء من حَتمية يوم تجتمع فيه الخلائق ووجود الجنة والنار صحيح أم لا ؟ وهل جرب أحد من الناس على هؤلاء الرسل كذباً حتى يكذبوا في هذه الأمور مثلاً ؟ مع أن الأدلة التي جاؤا بها تجعل الأعمى بصيراً والأصم سميعاً

لأحقيتها وصدقها ، وإذا كانوا صادقين وهو الحق فهل أعددنا لذلك اليوم عدتنا وأخذنا له أهبتنا واستعدادنا ؟ وهل فكرنا في مسألة الإعداد لذلك اليوم على الأقل ؟

إن مشكلة الكثير من الناس أنهم لا يفكرون ، وخاصة في قضية مصيرية كهذه . . . إنهم يتشاغلون ويضيعون أوقاتهم وأعمارهم في التفكير في أمور دنيوية تافهة لاتساوي في حقيقتها عفطة عنز .

إن التفكير المطلوب هو الذي أمرنا الباري عز إسمه به في كتابه العزيز حيث يقول : ﴿ **ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾[1] والنظر هنا هو التفكير ، والمعنى ولتفكر نفس ما قدمت لذلك اليوم المهول ، وهذا لا يتم إلا بعد أن يفكر الإنسان في أصله أولاً ، قال تعالى : ﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾[2] ، وفي الكون ثانياً : قال تعالى ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج** ﴾[3] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾[4] .

ومن ثم يفكر في الآخرة ، وفيما أعد لتلك الدار من عمل صالح إن التفكير في هكذا أمور هو الذي يجعل الإنسان إنساناً في اتخاذ القرار المناسب .

إنك لا تجد نادماً على ذنبه إلا بعد أن يطيل التفكير في هكذا أمور ولا تجد مصراً على ذنبه أو غارقاً في مستنقعات معاصيه إلا لأن على عقله غشاوات متراكمة وحجباً كثيفة جعلته لا يدري ما التفكير .

---

(١) سورة الحشر ، الآية : (١٨) .
(٢) سورة الطارق ، الآية : (٥) .
(٣) سورة قٓ ، الآية : (٦) .
(٤) سورة يونس ، الآية : ١٠١ .

إن لحظات قليلة من التفكير هي التي جعلت بشر الحافي[1] ينـدم على ذنبه ويعود إلى رشده وصوابـه ليسجل إسمـه في قائمـة أحباء الله التـائبين وإن التفكير هذا هو الذي جعل الحر بن يزيد الرياحي يندم على ما اقترفته يداه ويعود ليسجل إسمه في قائمة الأبرار الفائزين .

نعم إنه التفكير الذي أنقذ سحرة فرعون من الهاوية بعد أن رأوا بأمّ أعينهم الحقيقـة ، فصاروا يسـألون أنفسهم أيمكن أن يكـون ما رأوه سحـراً ؟؟ كلاّ ، لأنهم الأعرف بفنونـه والأعلم بحلّ طـلاسمه بـل وأساتـذة رواده لذلـك قادهم تفكيرهم إلى الندم على ما اقترفته أيديهم من معاصي وأعلنوا إيمانهم بصراحة : ﴿**إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا**﴾[2] .

إن الندم على فعل الذنوب أمر مهم للغاية ويعتبر دعامة أساسية من دعائم الإستغفار ، بل وأولى دعائمه .

أوحى الله إلى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام « أن يا موسى أبلغ قومك أنه ما تقرب إلي المتقربون بمثل البكاء من خشيتي ، يا مـوسى أما المتقـربون إليَّ بـالبكاء من خشيتي فهم في الـرفيع الأعلى ، لا يشـاركهم فيه غيرهم » .

فهلا تفكرنا ، ونظرنا بعين البصيرة إلى ما يخبىء لنا الزمان وإلى ما يراد بنا مع غفلتنا .

أيسرّ الواحد منا أن يكون كالشاة تشتغل بمرعاها وأكلها كي يسمن بدنها لاهية عما يراد بها وعما يضمره الجزار في شأنها ؟

---

(١) بشر الحافي هو : بشر بن عبد الرحمن المروزي كان في زمن لهـوه مع جميـع رفقائـه يشـربون الخمـور، وقد علت أصـواتهم بالـطربق والغناء، فـاجتاز بهم الإمـام الكـاظم وصادف أن خرجت إحدى الجواري لترمي فضلات الطعام في القمامة فقال لها: صاحب هذه الدار حرّ أم عبد ؟ قالت بل حـرّ . قال صـدقت: لو كـان عبداً لله لاستعمـل أدب العبودية وترك اللهو والطرب فدخلت الجارية وأخبرت بشراً بذلك فخرج بشر حافياً حاسراً حتى وصل إلى الإمام وقال سيدي (أعد عليَّ كلامـك) فأعـاده عليه فبكى بشـر ووضع خديه في التراب وقال بل عبد بل عبد وتاب من ساعته .

(٢) سورة طه ، الآية : (٧٣) .

ألا يسع كل واحد منا أن يعطي من وقته نصف ساعة كل يوم ليفكر في نفسه وفيما أعد من القِرَى ليومه النازل به ؟

يفكر في ما اكتسبته يداه من الذنوب ، يفكر في فلتات لسانه يفكّر في اختلاجات قلبه ، يفكر في مخادعة نفسه له ، يفكر في مخاتلة أيامه يفكر في خفقان أجنحة الموت عند رأسه ، يفكر في خروج روحه ، يفكر في النزول في قبره ، يفكر في سؤال منكر ونكير إياه ، يفكر في خروجه من قبره حاملاً وزره على ظهره ، حيث لا عشيرة تغنيه ولا قبيلة تنجيه ، ولا أم تفدّيه ؟ .

إن التفكير في هذه الأمور ، يعقبه خشوع القلب ودموع العين وإنه حينما يندم الإنسان على فعل القبيح يكون متعرضاً للطف الله سبحانه الذي يقوده إلى التوبة النصوح والإستغفار الصادق ، بل إن ندامته هذه تعتبر دليل صدق توبته واستغفاره ، لذا يقول الإمام السجاد : « إلهي إن كان الندم على الذنب توبة فإني وعزتك من النادمين » .

وقال بعض العلماء : (علامة الندم طول الحسرة والحزن وانسكاب الدموع وطول البكاء ، فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أحبائه طال عليه بكاؤه) .

وأي حبيب أحب إليه من نفسه ؟

وأي عقوبة أشد عليه من النار ؟

قال الإمام الصادق : « ما من مؤمن يقترف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام وأسأله أن يتوب عليّ » إلا غفرها الله له ، ثم قال : « ولا خير فيمن يقارف في كل يوم وليلة أربعين كبيرة »[1] فقول الإمام « وهو نادم » دليل على أهمية الندم وتأثيره .

---

(١) الكافي : ج٢ ، ص٤٣٨ باب الإستغفار من الذنب ح٧ .

٢ ـ العزم الصادق على ترك العود إلى الذنب :

ويعني انعقاد نية الإنسان الصادقة على ترك الذنب وإلى الأبد والنية محلها القلب ، وبالطبع تعتمد الجوارح على إمامها وهو القلب اعتماداً كبيراً ، إن لم نقل كلياً .

فإذا عزم القلب على شيء قويت بتلك العزيمة كلُّ الجوارح ، سواء كانت تلك العزيمة طاعة أم معصية .

ولقد ورد في الحديث الشريف : « ما ضعف بدن عما قويت عليه النية »[١] .

ويقول الشاعر :

وإذا حَلّت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاء

وتحقيق العزيمة الصادقة لا يكون إلا بعد اتضاح الرؤية وإدراك الأمور ، وقد تحقق ذلك من خلال التفكير فيما سبق أن أشرنا إلى ضرورة التفكر فيه في الفقرة السابقة تحت عنوان (الندم على ما مضى) .

فإذا تفكر الإنسان انكشفت عنه سُدَف الريّب ، وسُحُب الشكوك واستشعر لدغات الذنب وسيطر عليه الندم ، ولا شك أن ندمه هذا الذي يعتبر نتيجة التفكر والتأمل كفيل بأن يقوده إلى العزم الصادق على عدم العود إلى الذنب مرة أخرى ، وبدون هذا العزم فإن الذنوب لا تغفر مهما كانت الأمنيات ، القرآن الكريم في سياق الحديث عن بني إسرائيل يقول : ﴿ **فخلف من بعدهم خَلْف ورثوا الكتاب يأخذون عَرَض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عَرَض مثله يأخذوه** ﴾[٢] .

إنهم يتمنون أن يغفر لهم ، بل قالوا ذلك كما أشارت الآية الكريمة لكنهم حريصون على الدنيا ومصرون على الذنوب ، فإذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً ، ويتمنون المغفرة على الله ، وفي نفس الوقت إذا

---

(١) الوسائل : ج١ ص٣٨ باب ٦ من أبواب مقدمة العبادات حديث ١٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : (١٦٩) .

وجدوا من الغد حطاماً دنيوياً كالسابق أخذوه دون النظر إلى حليته أو حرمته ، وهذا دليل إصرارهم كما قال تعالى : ﴿ **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** ﴾[1] .

وما أكثر من يقول هذه المقولة(سيغفر لنا) في هذا الزمان ، ناسين أو متناسين أن رجاء الخير يلازمه خوف الشر الذي يقابله ، والرجاء يستدعي طيب النفس وثباتها والخوف يوجب قلقها واضطرابها ، فالرجاء الصادق توسط النفس بين سكون واضطراب وسرور وحزن ، أما من غرق في شهوات نفسه وتوغل في لذائذ الدنيا دون أن يتذكر أو يرتدع بعقوبة ما يجنيه ثم إذا نصحه ناصح أو ردعه رادع من نفسه أو غير نفسه قال : (الله غفور رحيم) للتخلص به من اللوم فحسب وهو لا يزال منكباً على لذائذه الدنيوية فليس ما يتظاهر به رجاءً صادقاً ، بل أمنية كاذبة ، وتسويل شيطاني موبق ، ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[2] فلا بد من الإنتهاء الصادق عن الذنب ، فعندها تغفر له ذنوبه إذا تحققت الشروط الأخرى قال تعالى : ﴿ **إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾[3] .

٣ ـ رد مظالم العباد :

تعتبر مظالم العباد العقبة الكؤود التي يصعب على كثير من الناس تجاوزها ، والأمر فيها أصعب من أي عقبة أخرى لأن المعصية إذا كانت بين العبد وربه واستغفر منها وندم ، غفر الله له ، بينما إذا كانت مظالم العباد عرضة في تلك المعصية فإن الله سبحانه لا يغفر للعبد حتى يرد هذا العبد للناس حقوقهم ومظالمهم ويبقى سالماً من كل تبعة .

فلقد روي عن شيخ من النخع قال :

« قلت لأبي جعفر إني لم أزل والياً في زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة ؟

(١) سورة الأعراف ، الآية: (١٦٩) .
(٢) سورة الكهف ، الآية: (١١٠) .
(٣) سورة الأنفال ، الآية: (٣٨) .

قال : فسكت الإمام ثم أعدت عليه .

فقال : لا ! حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه » .

وروي أيضاً « أن شاباً من أهل الكوفة أقبل إلى الإمام الصادق وأخبره بأنه كان في ديوان بني أمية ، وأصاب من دنياهم مالاً كثيراً ولم يهتم بأمر مصدره ، حيث كان أكثره من أموال الناس وممتلكاتهم . . ! فسأل الإمام قائلاً :

جعلت فداك هل من مخرج وتوبة مما كان لي معهم ؟

فقال : من تاب تاب الله عليه ولكن للتوبة شروط فهل تفعل ما أقول لك ؟
قال : نعم أفعل .

قال : أخرج من جميع ما كسبت من دنياهم فمن عرفت منهم رددت عليه ماله ، ومن لم تعرف صاحبه تصدقت عنه ، وأنا أضمن لك على الله العفو والجنة . . فأطرق الفتى طويلاً ثم رفع رأسه . .

وقال : قد فعلت جعلت فداك .

ورجع إلى الكوفة فما ترك شيئاً من أمواله التي نالها من بني أمية إلا وخرج منه حتى ثيابه التي كانت عليه . !

قال علي بن حمزة ، فقسمنا له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا له نفقة فما أتى عليه أشهر حتى مرض فكنا نعوده . . فدخلنا عليه يوماً فرأيناه في حال النزع ففتح عينيه . .

وقال : يا بن أبي حمزة قد وفى لي والله صاحبكم بما وعد» .

وهكذا تحقق الحديث القائل بأن «المؤمن التائب يُبَشَّر بالجنة عند موته» .

ولعلك تسأل :

كيف نرد للناس حقوقهم ؟ مع أن الحقوق ربما كانت في المال وربما كانت في غيره ، كما أن صاحب الحق ربما كان حياً وربما كان ميتاً ، أو أن رد

بعض الحقوق ربما يكون سبباً لإحداث فتن وأحقاد لا مبرر لها .

ونقول للإجابة على ذلك :

يمكن تقسيم الحقـوق إلى أربعـة أقســام في المـال والنفس والعــرض والدين :

أولاً : ما كان في المال :

يجب أن يرده إلى صاحبه إن كان حياً ، وأما إن كان ميتاً وجب رده إلى ورثته ، وإن جهل صاحبه تصدق به نيابة عنه ، وإن عجز عن رد المـال لكونـه فقيراً مثلاً وجب الإستحلال منه وفي المسألة تفصيل واسع يمكن مـراجعته في كتب الفقه .

ثانياً : ما كان في النفس :

فإن كان قد قتل أحداً خطأ مثلاً وجب أن يعطي الدية مع الإلتزام بكفارة القتل خطأ ، وإن كان عمداً وجب عليه مع كفارة العمد أن يمكّن أولياء المجني عليه ليقتصوا منه ، أو يجعلونه في حل من أمره ، وماذا لو عجز عن ذلك ؟

يقول العلامة النراقي في جامع السعادات : إن عجز عن ذلـك فعليه أن يكثر من عتق الرقاب لأن ذلك نوع إحياء وإيجاد لا يقدر الإنسان على أكثر منه ، فيقابل به الإعدام والإماته ، وعليه الرجوع أيضاً إلى الله بالتضرع والإبتهال أن يرضيه عنه يوم القيامة .

ثالثاً : ما كان في العرض :

كأن اغتابه مثلاً فعليه أن يعتذر منه ويطلب منه مسامحته فإن خشي حدوث فتنة أو ربما ترتب على ذلك مفسدة فعليه أن يكثر من الإستغفار له .

وهـذا فيمـا إذا لم تبلغ الغيبـة المستغـاب أمــا إذا بلغتـه وجب حينئــذ الإستحلال منه .

وكذلك فيما إذا شتمه أو قذفه أو بهته ، حيث أن عليه أن يكذّب نفسه عند

من قال ذلك لديه ويستحل من صاحبه إن أمكن ، وعند خوف المفسدة عليه أن يكثر من الإستغفار له .

رابعاً : ما كان في الدين :

كأن نسب مسلماً إلى الكفر أو الضلالة أو الشرك فليكذب نفسه بين يدي من قال ذلك عنده ويطلب من صاحبه أن يجعله في حل من أمره ، ومع عدم التمكن عليه أن يستغفر له ويكثر الإبتهال إلى الله ليرضيه عنه يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وفي الجملة عليه أن يرد للناس حقوقهم ومظالمهم ويسترضيهم ويستغفر لهم وأن يستعين على ذلك بإلهه وخالقه بأن يسأله المهلة لفعل ذلك وإرضاء من لا يسعه إرضاؤه لبعد سفر ، أو موت أو ما شابه ذلك ، وحبذا لو داوم على قراءة هذا الدعاء العظيم للإمام السجاد حيث يقول فيه : «اللهم إني أستغفرك لكل نذر نذرتُه وكل وعد وعدتُه وكل عهد عاهدتُه ثم لم أفِ به ، وأسألك في مظالم عبادك عندي فأيما عبد من عبيدك أو أمةٍ من امائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله ، أو في أهله وولده ، أو غيبة اغتبته بها ، أو تحامل عليه بميل أو هوى أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية غائباً كان أو شاهداً ، وحياً كان أو ميتاً فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردها إليه والتحلل منه . . فأسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى إرادته أن تصلي على محمد وآل محمد وأن ترضيه عني بما شئت وتهب لي من عندك رحمة إنه لا تنقصك المغفرة ولا تضرك الموهبة يا أرحم الراحمين . . . » .

ولعمري لماذا يظلم الناس بعضهم البعض ولا يكون عند أكثرهم تورعاً في ذلك ؟ أهم في غفلة عما ينتظر الظالم لعباد الله من أنواع النقم والبلايا . . في الدنيا والآخرة ؟ أم هم في حالة تغافل عن ذلك ؟ ؟

إن من يعتدي على حقوق الناس مهما كان نوع تلك الحقوق ولو كلمة سباب تخرج من فيه دون أن يرد لكل ذي حق حقه . . . يكون قد كتب لنفسه

الشقاء في الدنيا والآخرة بغض النظر عن حجم ذلك الشقاء .

ففي الدنيا يعيش منبوذاً عند الناس محتقراً في أعينهم لا يألف ولا يؤلف بل ربما دعا عليه مظلوم فعجل له النقمة يقول أمير المؤمنين في شعر منسوب إليه :

واحذر من المظلوم سهماً صائباً   واعلم بأن دعاءه لايُحْجَبُ

قصة :

قيل إن رجلاً من ضعفاء بني إسرائيل في عهد موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان له عائلة ينفق عليها من صيد الأسماك ، فاصطاد يوماً من الأيام سمكة كبيرة ومضى إلى السوق ليبيعها فأتاه رجل وأراد أن يأخذها قسراً ، فمانعه الصياد فضربه الرجل على رأسه ضربة شديدة ونهب السمكة ومضى فرفع الصياد طرفه إلى السماء ، وقال :

(إلهي جعلتني ضعيفاً وجعلته قوياً عنيفاً فخذ لي بحقي منه عاجلاً) ومضى الرجل بالسمكة إلى داره فأصلحتها زوجته وقدمتها له على مائدة فمد يده إليها ليأكل منها فلسعته شوكة منها في يده فلم يقر له قرار من الألم وذهب إلى الطبيب .

فقال الطبيب : دواؤها أن تقطع الإصبع فقطعت .

فسرى الألم إلى الكف فقطعت، فسرى الألم إلى الذراع فقطع ، وهكذا كلما قطع عضواً سرى الألم لقرينه ، فذهب هائماً في الفلاة ونام تحت شجرة فسمع هاتفاً يناديه في عالم الرؤيا ويقول : يا مسكين إلى متى وأنت تقطع أعضاءك إذهب إلى الصياد الذي ظلمته وغصبته حقه وأرضه فأنتبه ، وذهب لدار الصياد فوقع يتمرغ على رجليه ويبلهما ليرضى عنه وعوّضه عن تلك السمكة بثلث ماله فلما رضي عنه سكن الألم وأوحى الله إلى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « لولا أن الصياد رضي عن الرجل لعذبته بما جنى مدى الحياة» .

نعم إنها إرادة الله التي تجعل من الشوكة البسيطة هذه النتيجة الصعبة .

ولقد روي أن امرأة إدعت على رجل يسمى (سعد بن زيد) أنه اقتطع قسماً من أرضها فألحقه بأرضه . ولقد كانت كاذبة ، وإنما فعلت ذلك بغية إشاعة سيئة عليه ، فدعا عليها سعيد وقال : (اللهم إن كنت تعلم كذبها علي وأنا مظلوم منها فاعم بصرها واجعل قبرها في بيتها) فلم تمضِ إلا فترة يسيرة حتى أصيبت بالعمى ، وفي ذات يوم جاءت تتلمس الحائط وليس عندها من يقودها فوقعت في بئر بعيدة القعر كانت في بيتها ولم يمكن إخراج جثتها منه فطموا البئر عليها حتى لا ينتشر وباء نتن رائحتها ، وهكذا وقعت المرأة الظالمة في حبل مشنقة النقمة الإلهية وكان قبرها في بيتها .

هذا بعض ما يتعرض له من في ذمته بعض مظالم العباد في الدنيا وأما في الآخرة فيكفي أنه يفتضح أمام أعين الأشهاد وقد يكون مفلساً ومن ثم يؤمر به إلى النار .

يقول الرسول (ص) أتدرون من المفلس ؟

قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع عنده .

فقال الرسول (ص) : كلا ، المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[1] .

وليت شعري أين مكانه في النار ؟ وما حاله وهو يتقلب بين أطباقها ؟

يقول الرسول (ص) : « أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسقون من الحميم في الجحيم ينادون بالويل والثبور فيقول أهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى فرجل معلق في تابوت

---

(١) كنز العمّال : ج٤ ص٢٣٦ خ١٠٣٢٧ .

من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً ورجل يأكل لحمه فيقال لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداءً ولا (مخلصاً) ولا وفاءً . . . والحديث طويل »[1] .

لقد آن الأوان أن نخلص َأنفسنا من تبعاتها وأن نُعطي من أنفسنا القصاص لمن له حق علينا فإن القصاص في الدنيا أهون من القصاص في الآخرة .

ها هو سيد البشر رسول الله (ص) مع أنه معصوم من الزلات مُنَزّهٌ عن الخطيئات يعلّمنا كيف نخلص أنفسنا من تبعات الناس وذلك حينما نعيت له نفسه وصعد المنبر وخطب في الناس ،

قائلاً : « أيها الناس أي نبي كنت لكم ؟

قالوا : خير نبي . . .

قال : ألم أقاتل بين أظهركم ؟ ألم تكسر رباعيتي ؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني ؟ .

قالوا اللهم بلى ، إلى أن قال : من جلدت له ظهراً فهذا ظهري ، فإن الله سبحانه قد أقسم بعزته أن لا يجاوزه يوم القيامة ظلم ظالم أبداً ، يا لفداحة مصيبتنا »!!

الرسول (ص) يعطي القصاص من نفسه ، ونحن الذين حملنا على ظهورنا تبعات العباد لا نزال نزكي أنفسنا ولا نرضى باتهامها .

وهذا هو أمير المؤمنين نموذج آخر نتعلم منه عدم ظلم العباد حيث يقول : « لئن أبيت على حسك السعدان[2] مسهَّداً[3] أو أُجَّر في الأغلال مُصَفَّدا[4] أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد

---

(١) كنز العمّال : ج١٦ ص٧١ خ٤٣٩٧٩ .

(٢) حسك السعدان : شوك يشبه حلمة الثدي .

(٣) مسهداً : أي مسهراً .

(٤) مصفداً : أي مقيداً .

وغاصباً لشيء من الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قُفولها(١) ويطول في الثرى حلولها »(٢) .

فهل منا من يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة كما فعل الرسول (ص) ؟ وهل منا من يسلك درب أمير المؤمنين حيث تمنى أن يبيت على شوك مؤلم أو أن يقيد بالأغلال ويجر ويتفرج عليه الناس ولا يظلم أحداً مثقال ذرة ؟ . .

ثم أنه يلفت انتباهنا إلى نقطة مهمة وهي أننا غالباً نظلم الناس ونأخذ منهم حقوقهم إرضاء لأنفسنا الشريرة لكن هذه النفوس سرعان ما تبلى عظامها ويندرس رمامها فما قيمة شيء يؤخذ لنفس نصب عينيك مصيرها ؟ من هنا قال أمير المؤمنين « وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها »(٣) .

بل إنه القائل : « لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت »(٤) يا للعظمة ، أمير المؤمنين لا يسلب النملة قشر شعيرة !!! .

واليوم نرى وترون كيف أصبح ظلم الناس لذةً لا يستغنى عنها فكم هم الذين يعتبرون نهب الناس حقوقهم وتحدي كرامتهم نوعاً من البطولة والرجولة ألا وأن موعدهم يوم التغابن يوم يميز الغابن من المغبون ﴿ **يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾(٥) .

---

(١) قفولها : أي رجوعها .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٤ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٤ .
(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٢٤٤ .
(٥) سورة التغابن ، الآية : (٩) .

٤ ـ تأدية حقوق الفرائض المضيعة :

لا شك أن التكاليف الشرعية تشمل العالِمَ والجاهل والناسي والذاكر والنائم والمستيقظ ولا فرق إلا بالعقاب ، فإن كلاً من العالم والذاكر والمستيقظ يعاقب مع الترك بينما لا عقاب على النائم والجاهل والقاصر والناسي طالما كان العذر موجوداً ، فإذا تعلم الجاهل وتذكر الناسي وآستيقظ النائم وجب التدارك أداءً داخل الوقت وقضاء خارجه .

والفرائض كثيرة منها الصلوات اليومية ، والآيات ، وما يلتزمه الإنسان بنذر أو عهد أو يمين إلى غير ذلك .

ومنها الصوم سواء كان صوم رمضان أو صوم نذر أو كفارة أو ما شابه فإن هذه الفرائض وأمثالها إذا فاتت وجب قضاؤها سواء أكان ذلك عن عمد أو نسيان أو لسبب قهري كالنوم المستوعب للوقت مثلاً .

فلقد سئل الإمام الصادق : عن رجل صلى بغير طهور أو نسي صلاة لم يصلها أو نام عنها ؟ فقال : « يقضيها إذا ذكرها في أية ساعة ذكرها من ليل أو نهار ، فإذا دخل وقت الصلاة ولم يتم ما قد فاته فليقض ما لم يتخوف أن يذهب وقت هذه الصلاة التي قد حضرت ، وهذه أحق بوقتها فليصلها فإذا قضاها فليصل ما فاته مما قد مضى »(١) .

والرواية صريحة في وجوب القضاء من جانب وجوازه في أي وقت من ليل أو نهار أو سفر أو حضر من جانب آخر لكن عليه أن يقضي في السفر ما فات في الحضر تماماً ، ويقضي في الحضر ما فات في السفر قصراً لقول الإمام الصادق : « من فاتته صلاة فليصلها كما فاتته »(٢) .

ولقوله« أقضِ ما فات كما فات »(٣) .

---

(١) الوسائل : ج٣ ص٢٠٨ باب ٦٢ من أبواب المواقيت ح١ .
(٢) عوالي اللئالي : ج٣ ص١٠٧ ح١٥٠ .
(٣) الوسائل ج٥ ص٣٥٩ الباب ٦ من أبواب قضاء الصلوات ح١ .

ولعلك تسأل هل يشترط الترتيب في قضاء اليومية ؟

والجواب على ذلك يكون بتقسيم الترتيب إلى قسمين :

١ ـ ترتيب السابقة على الحاضرة ، وفي وجوب ذلك قولان متباينان أحوطهما ما قاله المحقق الحلي في الشرائع حيث قال : « يجب قضاء الفائتة وقت الذكر ما لم يتضيق وقت حاضرة بترتيب السابقة على اللاحقة كالظهر على العصر والعصر على المغرب والمغرب على العشاء سواء كان ذلك ليوم حاضر أو صلوات يوم فائت فإن فاتته صلوات لم تترتب على الحاضرة » .

وعن محمد بن مسلم « قال : سألت أبا عبد الله عن رجل صلى الصلوات وهو جنب اليوم واليومين والثلاثة ثم ذكر بعد ذلك .

قال : يتطهر ويؤذن ويقيم في أولهن ثم يصلي ويقيم بعد ذلك في كل صلاة فيصلي بغير أذان »[1] .

ولا شك أن الرواية محمولة على جواز الإكتفاء بالإقامة فيما عدا الأولى وذلك لرواية أخرى تدل على استحباب الأذان لكل صلاة .

فعن عمار عن أبي عبد الله قال : « سئل عن الرجل إذا أعاد الصلاة هل يعيد الأذان والإقامة ؟ قال : نعم »[2] .

٢ ـ الترتيب في الفوائت اليومية بمعنى قضاء السابق في الفوات على اللاحق وأحوط الأقوال في ذلك وجوب الترتيب بمعنى لو ترك الصلوات الخمس من يوم واحد إبتداءً من الصبح ، قدّم الصبح على الظهر والظهر على العصر والعصر على المغرب والمغرب على العشاء ، (وإن كان بعض الفقهاء لا يرى وجوب الترتيب إلا فيما يكون الترتيب معتبراً في أدائه كالظهرين والعشائين من يوم واحد)[3] .

---

(١) الوسائل : ج٥ ص٣٤٨ الباب ١ من أبواب قضاء الصلوات ح٣ .
(٢) الوسائل : ج٥ ص٣٦١ الباب ٨ من أبواب قضاء الصلوات ح٢ .
(٣) العروة الوثقى ، ص٧٣٦ .

أما بالنسبة لقضاء الفوائت من غير اليومية فلا يعتبر الترتيب في ذلك لا بالنسبة إليها ولا بالنسبة إلى بعضها مع البعض الآخر ، فلو كان عليه قضاء صلاة الآيات ، وقضاء اليومية يجوز تقديم أيهما شاء تقدم في الفوات أو تأخر ، وكذا لو كان عليه صلاة كسوف وخسوف يجوز تقديم كل منهما وإن تأخر في الفوات .

وإذا احتمل المكلف اشتغال ذمته بفائتة أو فوائت يستحب له تحصيل التفريغ بإتيانها احتياطاً ، وكذا لو احتمل خللاً فيها وإن علم بإتيانها ما لم يجره هذا الفعل إلى الوسوسة .

وهل يجوز إتيان القضاء جماعة أم لا ؟

ذكر الفقهاء جواز ذلك بل استحبابه وإن اختلفت صلاة الإمام عن المأموم حيث يجوز الإقتداء في كل من الخمس بكل منها .

وهناك مسألتان هامتان ذكرهما المحقق الحلي في الشرائع غالباً ما يبتلى الإنسان المكلف بهما فلا بأس بذكرهما :

الأولى : من فاتته فريضة من الخمس غير معينة قضى صبحاً ومغرباً وأربعاً عما في ذمته ، ولو فاتته من ذلك مرات لا يعلمها قضى حتى يغلب على ظنه أنه وفى .

الثانية : إذا فاتته صلاة معينة ولم يعلم كم مرة كرر من تلك الصلاة حتى يغلب عنده الوفاء ، ولو فاتته صلوات لا يعلم كميتها ولا عينها صلى أياماً متوالية حتى يعلم أن الواجب دخل في الجملة .

هذا بالنسبة للصلاة ، أما بالنسبة للصوم فيجب القضاء أيضاً فيما إذا أخل بنية الصوم كأن قصد الرياء أو نوى قطع الصوم وإن لم يتناول مفطراً ، أو تناول مفطراً عالماً عامداً ، أو تناول المفطر قبل مراعاة الفجر ثم تبين سبق طلوعه ، مثلاً أو كان عليه جنابة ونسي أن يغتسل حتى خرج شهر رمضان أو انقضى شطر منه على الرأي الأحوط ، فقد سئل الإمام الصادق : « عن رجل أجنب في شهر رمضان فنسي أن يغتسل حتى خرج رمضان ، قال : عليه أن يقضي الصلاة

والصوم »[1] .

ولكن هل يجب مع القضاء الكفارة أم لا ؟

ذكر الفقهاء وجوب الكفارة إذا كان الإخلال بالصوم آت عن طريق العمد والإختيار من غير إكراه ولا إجبار عالماً بكون ما يرتكبه مفطراً على تفصيل في بعض فروع المسألة مذكور في محله .

والكفارة واجبة في أربعة أقسام من الصوم :

١ ـ صوم شهر رمضان وكفارته : التخيير بين العتق وصيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكيناً ، وإن كان الأحوط الترتيب كما ذكره بعضهم ، فيختار العتق مع الإمكان ومع العجز فالصيام ومع العجز عنه فالإطعام ، ويجب الجمع على الأحوط بين الخصال إن كان الإفطار على محرم كأكل المغصوب وشرب الخمر والجماع المحرم ونحو ذلك .

٢ ـ صوم قضاء شهر رمضان إذا أفطر بعد الزوال : وكفارته إطعام عشرة مساكين لكل مسكين مد ، فإن لم يتمكن فصوم ثلاثة أيام والأحوط كما قال الفقهاء أن تكون متتابعات .

٣ ـ صوم النذر المعين : وكفارته كفارة إفطار شهر رمضان ، وقد ذكر بعض الفقهاء أن كفارته هي كفارة يمين وهي (عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فإن عجز صام ثلاثة أيام) .

٤ ـ صوم الإعتكاف : وكفارته مثل كفارة شهر رمضان مخيرة بين الخصال ولكن الأحوط الترتيب المذكور ، وكفارة الإعتكاف مختصه بالجماع فلا تعم سائر المفطرات .

أما الحائض والنفساء فيجب عليهما قضاء ما فاتهما من الصوم حال الحيض والنفاس دون الصلاة .

ولكن لو فات المكلف صيام شهر رمضان أو بعضه لعذر واستمر إلى

---

(١) الوسائل ج١ ص٥٢٣ ، باب ٣٩ من أبواب الجنابة ، حديث ١ .

رمضان آخر فهل يجب عليه القضاء ؟

أم تتعين الكفارة ؟ أم يجب القضاء والكفارة معاً ؟

ذكر الفقهاء : إذا كان العذر هو المرض سقط القضاء على الأصح وكفّر عن كل يوم بمد من الطعام والأحوط مدان (والمد يساوي ثلاثة أرباع الكيلو تقريباً) ولا يجزي القضاء عن التكفير نعم ذكروا بأن الأحوط الجمع بينهما .

وإن كان العذر غير المرض كالسفر ونحوه فالأقوى وجوب القضاء وإن كان الأحوط الذي لا ينبغي تركه الجمع بينه وبين التكفير بالمد وكذا إن كان سبب الفوات هو المرض وكان العذر في التأخير غير مستمرٍ من حين برئه إلى رمضان آخر أو العكس فإنه يجب القضاء أيضاً في هاتين الصورتين على الأقوى والأحوط وجوباً بينه وبين التكفير .

وكذلك من استقر في ذمته الحج ولم يحج وجب عليه أن يؤدي هذا الحق الإلهي حتى يكون استغفاره في محله .

وللأسف الشديد لو نظرنا إلى أنفسنا نحن المسلمين لرأينا أن الأكثر منا لا يكاد يلتفت إلى أمور دينه إلا بعد أن يتصرم من عمره الشيء الكثير فترى الشاب يدخل على زوجته وقد تجاوز العشرين من عمره وربما الثلاثين أحياناً وهو لا يعرف كيفية غسل الجنابة أو طريقة الوضوء الصحيحة ، وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة فإنها تزف إلى عريسها وقد بلغت العشرين من عمرها أو قاربت ذلك بل ربما تجاوزت العشرين وهي لا تعرف الفرق بين دم الحيض ودم الإستحاضة ، فضلاً عن كونها لاتعرف كيفية الاغتسال عن الحيض ولا عن غيره فلا الأبوان يهتمان بأولادهما ذكوراً كانوا أو إناثاً ولا الأولاد يهتمون بالتفقه في أمور دينهم حيث انشغل الكل بالدنيا وزخارفها والركض خلف مفاتنها حتى لم يبق للتفقه أو تعلم ما يبتلى به من أمور الدين ولا ساعة من نهار أو ليل ، وبالتالي تبقى ذمة هذا الشاب أو تلك الشابة وإلى أن يدركا أمور دينهما مشغولة بالصلوات والصيام والعبادات الأخرى التي يشترط فيها الطهارة ولا يقبل منهما حينئذ استغفار حتى يؤديا حقوق الفرائض التي ضاعت بسبب تقصيرهما ، يقول الإمام الصادق :

« ليت السياط على ظهور أصحابي حتى يتفقهوا في الـدين »[1] . ويقول أميـر المؤمنين في عرض ذكره لدعائم الإستغفار : « وأن تَعْمدَ إلى كل فريضة فاتتك فتؤدي حقها حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعةَ »[2] .

٥ ـ تطهير البدن من الحرام :

في الوقت الذي تُحدث فيه لقمة الحرام ظلمة في القلب وانحطاطـاً في الضمير ومحقاً للبركة فإنها أيضاً تجعل بين العبد وربه حجاباً كبيراً فلا يستجاب له دعاء ولا تقبل له صلاة ولا يغفر لـه ذنب ويكون مستـوجباً للّعن والـطرْد من رحمة الله ، قال رسـول الله (ص) : « من أكل لقمـة حرام لم تقبـل له صـلاة أربعين ليلة ولم تستجب له دعوة أربعين صباحاً وكـل لحم ينبته الحـرام فالنـار أولى به وإن اللقمة الواحدة تنبت اللحم »[3] .

وقـال (ص) : « من أحب أن يستجـاب دعـاؤه فليـطيب مـطعمـه ومكسبه »[4] .

وقال (ص) أيضاً : « إذا وقعت اللقمة من حرام في جوف العبد لعنه كل ملك في السماوات والأرض » .

وأكل الحرام يعتبر كبيرة من الكبائر ، ولقد وصف الله سبحانه اليهود بأنهم يأكلون الحرام حيث قال : ﴿ **وترى كثيـراً منهم يسارعـون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربـانيون والأحبـار عن قـولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كـانوا يصنعـون** ﴾[5] ، (السحت : ما خبث وقبح من المكاسب) .

ولقد عبر سبحـانه عن المـال الحرام﴿ **بـالسحت** ﴾ لأن السحت بمعنى

---

(١) انظر الكافي : ج١ ص٣١ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه ح٨ .
(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤١٧ .
(٣) كنز العمّال : ج٤ ص١٥ خ٩٢٦٦ .
(٤) الكافي : ج٢ ، ص٤٨٦ باب الثناء قبل الدعاء ح٩ .
(٥) سورة المائدة ، الآية : (٦٢ و٦٣) .

الزوال والإنعدام والمال المسحوت بمعنى المال المأخوذ والمقطوع من جذوره كما يقال : سَحَتَ زيدٌ خوصَ النخل يعني استأصله من جذوره ، وحيث أن المال الحرام لا بركة فيه لذا عبر عنه سبحانه﴿ بالسحت ﴾ فكل مال يأتي للإنسان بطريق غير مشروع فهو سحت فالربا سحت ، والرشوة سحت ، والمال الذي يكتسب كثمن للخمر أو المخدرات أو الغناء أو ما شابه ذلك كل ذلك سحت بل بعض أنواع السحت بحكم الحرب على الله ورسوله كالربا وبعضها بحكم الكفر بالله كالرشوة قال رسول الله (ص) : « إياكم والرشوة فإنها محض الكفر ولا يشم صاحب الرشوة ريح الجنة »(١) .

وقال الإمام الصادق : « السحت أنواع كثيرة منها ما أصيب من أعمال الولاة الظلمة ومنها أجور القضاة وأجور الفواجر وثمن الخمر والنبيذ والربا بعد البيّنة وأما الرشوة يا عمار في الأحكام فهو الكفر بالله العظيم وبرسوله »(٢)
(البيّنة) : نزول الآية التي تحرم الربا .

وفي رواية أخرى للإمام الباقر : « السحت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة في الحكم وأجر الكاهن »(٣) .

وإن من الحرام اكتساب المال عن طريق الغصب أو السرقة أو الغش أو الغبن أو التحايل وما شابه ذلك .

إن أمير المؤمنين قد جعل الدعامة الخامسة من دعائم الإستغفار إذابة اللحم الذي نبت على السحت أي بسبب أكل السحت بل وكل حرام حيث قال : « وخامسها أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد »(٤) .

وهذا أمر طبيعي حيث أن الإستغفار لا يمكن أن يكون قائماً على أصوله

---

(١) البحار : ج١٠١ ص٢٧٤ باب الرشا في الحكم وأنواعه ح١٢ .
(٢) الوسائل : ج١٢ ص٦٤ باب ٥ من أبواب ما يكتسب به حديث ١٢ .
(٣) الوسائل : ج١٢ ص٦٢ باب ٥ من أبواب ما يكتسب به حديث ٥ .
(٤) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤١٧ .

ودعائمه المطلوبة وآخذاً العبد إلى رحاب ربه إلا إذا كان القلب صافياً طاهراً خاشعاً وصفاء القلب وطهارته وخشوعه كل ذلك لا يكون ما دام في الجسم شيء من الحرام ذلك لأن لقمة الحرام تؤدي إلى تلوث القلب وسواده وقساوته ومن ثَمَّ لايؤمَّل منه خير ولا يرجى منه بر .

ولقد أشار الإمام الحسين في خطبته بجيش ابن سعد : « لقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم ويلكم ألا تسمعون » فقوله طبع على قلوبكم بعد ذكر امتلاء بطونهم من الحرام دليل قاطع على أن لقمة الحرام تعمل على تلويث القلب وعلى ظلمته وقساوته .

من هنا أولياء الله صاروا يأخذون الحيطة والحذر كل الحيطة والحذر في كل طعام أو شراب يدخل بطونهم لأنهم ليسوا على استعداد لأن يتحملوا عاقبة قساوة القلب وظلمته ورين الحرام عليه .

قصة :

عَيَّن الإمام أمير المؤمنين رجلاً من ثقيف على عكبرى (وهي بلدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ) أمره أن يستوفي خراجهم . . .

قال له : « إذا كان عند الظهر فأتني » . . .

يقول أتيته فلم أجد عليه حاجباً يحجبني دونه ووجدته جالساً وعنده قدح وكوز فيه ماء ثم دعا بطعامه وإذا بشيء مختوم ! !

يقول : ظننت أنه جوهر يريني إياه فإذا فيه (سويق) ، فأخرج منه وصب في القدح وصب عليه الماء فشرب وسقاني فلم أصبر حتى سألته : يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من هذا وخزائن العراق وأمواله تحت يديك ؟

فقال أمير المؤمنين : « أما والله ما ختمته بخلاً وإنما فعلت ذلك لأني أكره أن أُدْخِلَ بطني إلا الطيب »[1] .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

وفي رواية . . . « لأني لا أحب أن يدخل بطني طعاماً لا أعرف سبيله » .

إنهاالعظمة جاءت تجر نجائبها لتتمثل في شخصية علي ، فهو لا يحب أن يدخل بطنه طعاماً لا يعرف سبيله ، لذا فليس بين قلبه وبين السماء حجاب ، أما نحن فلقد ران الحرام على قلوبنا فأصبح كالسحب الكثيفة التي تتراكم في وجه الشمس لتحجب ضياءها ، والآن هل سلكنا درب علي ؟ هل حدثنا أنفسنا بالإقتداء به ؟

تعالوَا معي لنجلس تحت منبره ونستمع إلى مقولته التي حق للجبال أن تطأطيء أعنتها إجلالاً لعظمتها . . . إنه يقول : « لو أن قطرة خمر سقطت في بئر ونزح ذلك البئر وسقيت به أرض فأنبتت ثم جاءت شاة وأكلت من ذلك النبات واختلطت في قطيع من الأغنام ثم ذبح بعضها ما كنت بالذي يأكل من لحمها » .

هل سمعتم بعظيم قال مثل هذا وعمل به ؟ لاغرو إذا سمعتم ذلك من علي فإنه ربيب المصطفى وباب مدينة علمه وخريج مدرسته .

إن البئر حينما ينزح ويصب الماء المنزوح في أرض ما فإن نبات تلك الأرض طاهر بإجماع الفقهاء ولا خلاف في ذلك بين المسلمين وإن كان الماء نجساً ذلك لأن الماء تحول إلى نبات فالتحول مطهر له ثم هاهو النبات يتحول مرة أخرى إلى لحم حينما أكلته تلك الشاة وربما أصبح في الكرش ثم خرج دون أن يتحول إلى لحم ، وأيضاً تلك الشاة اختلطت في قطيع من الأغنام وذبح البعض ولا يُدرى أهي في ضمن هذا البعض أم لا ، ومع كل ذلك يرفض أمير المؤمنين أن يأكل من لحم شاة يحتمل أنها أكلت من نبات قد سقي بماء بئر متنجس بقطرة خمر قد لاتكاد تُرى بلحظ البصر إنه الورع الذي قَلَّ نظيره ، إنه الإدراك التام لما تصنعه لقمة الحرام أو المتلوثة بالحرام في قلب ابن آدم وصدق المولى عز إسمه حيث يقول : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[1] .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .

والسؤال المطروح الآن :

ما هو السبيل لإذابة اللحم الذي ينبت على السحت ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول :

يمكن إذابة اللحم الذي نبت على السحت بالبكاء والندم المتواصل على المعصية والذنب المقترف الذي هو أكل الحرام ـ السحت ـ فإن الإنسان إذا أهمه أمر وطال بكاؤه وحُزنُه فيما أهمّه فإن البدن بل وجميع الجوارح يتأثرن بذلك فالسارق مثلاً حينما يقبض عليه ويقدم له طعام مع علمه أنه بعد تلك الوجبة ستقطع يده أمام الناس هل يأكل مطمئناً كما كان يأكل من قبل ؟؟ لا أظن أن أحداً يعتقد ذلك وكذلك من ينتظر تنفيذ حكم الإعدام بحقه هل يتهنأ بطعامه أم هل يسيغ شرابه ؟ ألا يصاب بالذبول والضعف والهزال تحسباً لما ينتظره من أمر إعدامه ؟ كذلك الإنسان العاقل حينما يعرف أنه عائد إلى ربه وهناك نار وقصاص وحساب دقيق ، ويبدأ يفكر ومن ثم يقوده تفكره إلى ضرورة الإستغفار قبل فوات الأوان فإن حزنه على ما آقترفته يداه من ذنوب ومن أكل أموال الناس سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وتصوره لمشاهد القيامه من شأنه أن يؤثر على أكله وشربه ، ومن ثم على بدنه ، وتكون النتيجة أن اللحم الذي نبت على السحت يذوب .

يقول أمير المؤمنين في وصفه للمتقين : « قد براهم الخوف بري القداح »[1] ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول : لقد خولطوا ، ولقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير »[2] .

فالخوف من الله سبحانه ومن أهوال القيامة من شأنه أن يضعف الأبدان

---

(١) القداح : جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش . وبراه : يعني نحته أو رقق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

ويجعلها نحيلة رقيقة كما ترقق السهام بالنحت .

ويقول أمير المؤمنين في نفس الخطبة في موضع واصفاً الإنسان المتقي : « قليلاً زلله خاشعاً قلبه قانعة نفسه منزوراً أكله »[1] ومنزوراً أكله : يعني قليلاً أكله . فلماذا قّل أكله ؟

والجواب واضح ذلك لأن الخوف أخذ بمجامع قلبه وجوارحه وأثّر ذلك على أكله . ومن هنا يتضح لنا قول الإمام علي حينما قال : « وخامسها أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد »

ولكن هناك ثمة سلوك آخر يمكن أن يعين على إذابة اللحم النابت على الحرام وهو (الصوم) وأعني بالصوم هنا الصوم المستحب حيث أن الصوم الواجب كصوم شهر رمضان لا نقاش فيه الآن فترويض النفس بالصوم المستحب يؤثر على البدن إذا رافقه خوف من الله سبحانه ذلك لأن لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام ومما يدلنا على أن الصوم يؤثر على الأبدان قول الرسول (ص) : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » فالأكل والشرب يجعلان بدن المفطر معشوشباً باحثاً عن اللذائذ وإن لم تكن هناك مثيرات في المقام بعكس الصائم فإن بدنه لا يساعده على ذلك إذا انقطع عنه الغذاء طوال النهار . وقولنا : (الصوم يؤثر على البدن) لا يعني بالضرورة التأثير السلبي إذْ ربما كان التخفيف من السمنة ومن اللحم الزائد أمراً مطلوباً ، من هنا قال الرسول (ص) : « صوموا تصحوا » . فترك الأكل والشرب من الفجر إلى الغروب الحقيقي المعبر عنه في القرآن (الليل) في قوله تعالى : ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ من شأنه أن يذيب بعض الشحوم التي لا حاجة للإنسان فيها وكذلك اللحوم الزائدة وكنتيجة كلية يمكننا القول بأن الصوم يذيب اللحم الذي نبت على السحت ـ الحرام ـ وبالتالي إذا أردنا أن نستغفر الله سبحانه علينا أن نطهر أبداننا

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

من الحرام كي تكون قلوبنا صافية لا يرين عليها شيء . وفي الوقت الذي نعمل فيه على استبراء أبداننا وطهارتها من كل سحت وحرام علينا أن نكون حذرين جداً آخذين الحيطة الكافية لمعرفة سبيل كل لقمة تدخل بطوننا . فإن كانت حلالاً أكلناها وإن كانت حراماً أو شبهة تركناها . وأي إنسان منا على استعداد لتطبيق ذلك ؟ وقد أصبحنا في زمان قد امتلأت بطون أهله من الحرام فحيل بينهم وبين استجابة دعائهم وقبول أعمالهم . نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن تنهض بهم همتهم لتطبيق ذلك ، ولكن ذلك يحتاج إلى جهد متواصل وترويض دؤوب لهذه النفس الجزوعة الهلوعة الكنودة التي تعتبر ألدّ أعداء الإنسان .

كما دل على ذلك الحديث الشريف : « ألدّ أعدائك نفسك التي بين جنبيك فإن قدرت عليها كنت على غيرها أقدر ، وإن عجزت عنها كنت عن غيرها أعجز » .

ولنعلم جميعاً أن الأصل فيما أراده الله هو وجود الحلال ، وأما الحرام فهو أمر إستثنائي والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾(1) .

فالأصل هنا أن كل شيء حلال ، أما الحرام فهو قليلٌ جداً ومحصور ، فيا عجباً كل العجب من ابن آدم كيف يبحث عن الحرام المحصور القليل والحلال الكثير نصب عينيه . القرآن الكريم يقول : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وآتقوا الله إن الله غفور رحيم** ﴾(2) .

ففي صدر الآية يأمر المولى عز اسمه أن يكون المأكل حلالاً ثم يقول : ﴿ **وآتقوا الله** ﴾ لتبيان أن كسب الحلال وأكل الحلال يحتاج إلى جهد وحذر وحيطة . وفي آخر الآية يبين سبحانه أن ذلك الطريق لغفران الذنوب حيث قال : ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ فصدر الآية مرتبط بعجزها ، ويدل على أن من

---

(1) سورة البقرة ، الآية : (٣٥) .

(2) سورة الأنفال ، الآية : (٦٩) .

شروط غفران الذنوب تطهير البدن من الحرام .

٦ـ الصبر على ألم الطاعة :

ليس من السهولة بمكان أن إنساناً قضى شطراً من عمره يتقلب في لذات المعاصي أن يتذوق حلاوة الطاعة ، ولذيذ المناجاة لمجرد أنه صمم على ترك المعاصي ، وبدأ يصلي ويصوم ، بل قد تتعبه العبادة والطاعة في بداية أمره ، بل وبكل تأكيد سيشعر بثقل وتعب شديدين خاصة إذا بدأ يخالف نفسه وهواها وكلفها بأن تسهر الليالي الطوال في العبادة والتهجد والندم على ما مضى من الذنوب ، وكيف لا يجد عناءً وتعباً وألماً في العبادة والطاعة وهو يقوم بأمر لا توافق عليه نفسه الأمارة بالسوء ولا شيطانه الموكل به ، الذي يزين له المعصية ليركبها ، ويمنِّيه التوبة ليسوفها ، فهو في عبادته وطاعته يصارع الشيطان وربما الشياطين حيث تجتمع عليه لإغوائه ، وكذلك يصارع نفسه التي بين جنبيه . فهذا العناء وهذا الجهد وهذا الألم من شأنه أن يكون كفارة لما سلف من إذاقة البدن حلاوة المعصية ولذة الجريمة ، ولا شك أن الإنسان حينما يتعود على فعل الطاعات ويداوم عليها فإنه سيجد لذتها إن عاجلاً أو أجلاً والتعود على فعل الطاعات في بداية الأمر يكون صعباً ولكن مع الإستمرار عليه يكون أمراً عادياً للغاية .

بل قد لا يسع الإنسان أن يتركه والعكس صحيح فإذا تعود الإنسان على الجريمة واستمر على فعلها تصبح الجريمة جزءاً من كيانة لا يستطيع تركها ذلك لأن الخير عادة والشر عادة . كما دل على ذلك الحديث الشريف .

فيا حبذا لو صبّر الإنسان نفسه على الطاعة وعلى ترك الذنوب وسهر الليالي الطوال من أجل ذلك لأن الصبر على التقوى أهون من الصبر على النار .

يقول الإمام زين العابدين : « إن بين الليل والنهار روضة يرتع في رياضها الأبرار ويتنعم في حدائقها المتقون ، فادأبوا رحمكم الله في سهر هذا الليل بتلاوة القرآن في صدره وبالتضرع والإستغفار في آخره وإذا ورد النهار فأحسنوا قراه بترك التعرض لما يرديكم من محقرات الذنوب فإنها مشرفة بكم على قباح

العيوب وكأن الرحلة قد أظلتكم وكأن الحادي قد حدا بكم » .

وبهذا العمل وأمثاله نكون قد حققنا الدعامة السادسة من دعائم الإستغفار قال أمير المؤمنين : « وسادسها أن تذيق بدنك ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ثم قل أستغفر الله »[1] .

والذي يظهر من كلام الإمام : أن عين الإستغفار هو فعل الأمور الستة المذكورة فقوله مبني على دعائم ست إشارة إلى أن من فعل هذه الأمور فقد بنى الإستغفار أي حققه ، وفي رواية أخرى « الإستغفار إسم واقع على ستة معان »

فمعنى هذه العبارة أن هذه الأمور الستة هي معاني الإستغفار وهي حقيقية .

وأما قول (أستغفر الله) وإن كان ضرورياً فهو ليس أكثر من دعاء ورجاء وطلب تغطية الذنوب وسترها ، وليس كل من طلب تغطية ذنوبه يُعطى مراده .

بمعنى أن الإنسان لو تذكر ذنوبه وجلس وبكى عليها وعاهد الله سبحانه أن لا يعود إليها أبداً ولم تكن ذمته مشغولة بأي مظلمة أو أي حق آخر من حقوق الله أو حقوق الناس وكانت القاعدة البدنية والنفسية مهيئة فإنه يعد (مستغفراً) ولو لم يتلفظ بكلمة (أستغفر الله) .

كما أنه لو قال : (أستغفر الله) ألف مرة في اليوم والليلة ولم يبك على ذنوبه ، وكان في برنامجه أن يعود إلى الذنب مرة أخرى فلا يعد مستغفراً بل مستهزءاً .

ولكن هذا لا يعني أن لا يقول الإنسان أستغفر الله . لأن قول : أستغفر الله دعاء كما أسلفنا ، والدعاء بمثابة الملح للطعام .

وإن كان الظاهر أن القلب إذا استغفر ظهر ذلك على اللسان لأنه : « ما أضمر أمرؤ شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه إن خيراً فخير وإن شراً فشر »[2] .

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤١٧ .

(٢) نهج البلاغة : الحكمة ٢٦ .

دع ضميرك يجيب :

لو كان أمير المؤمنين اليوم حاضراً وتوقف هنيئة ليسمع استغفارنا هل يقول لنا كما قال لذلك الرجل الذي سنشير إليه فيما يأتي والذي لم يحقق دعائم الإستغفار ؟ أم يثني على طريقتنا في الإستغفار ؟

لنترك الضمير الحي والنفس اللوامة عند كل واحد منا يجيبان على هذا السؤال ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره** ﴾(١) .

فالعارفون بحقيقة الإستغفار هم الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً وما أكثر الذين يضيفون إلى ذنوبهم ذنوباً أخرى باستغفارهم المزيف الذي يحمل الإستهزاء بالله وبأوامره . وما ظنك بمن يستهزىء بالله .

ولا بأس أن نذكّر القارىء الكريم بالحديث الجامع لكل هذه الدعائم فلقد روي أن الإمام علياً سمع قائلاً .

يقول : (أستغفر الله) وكان الإمام عارفاً بسلوك ذلك الرجل

فقال له : « ثكلتك أمك أتدري ما الإستغفار ؟

الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان :

أولها : الندم على ما مضى .

والثاني : العزم على ترك العود إليه أبداً .

والثالث : أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة .

والرابع : أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها .

والخامس : أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .

---

(١) سورة القيامة ، الآيتين : (١٤ ، ١٥) .

والسادس : أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول : (أستغفر الله)[1] .

وروي عن كميل بن زياد أنه قال :

قلت لأمير المؤنين : يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حد الإستغفار ؟

قال « يا بن زياد : التوبة » .

قلت : بس ؟ أي يكفي .

قال : «لا» .

قلت : فكيف ؟

قال : « إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول : أستغفر الله بالتحريك » .

قلت : وما التحريك ؟

قال : « الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة » .

قلت : وما الحقيقة .

قال : « تصديق في القلب ، وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه » .

قال كميل : فإذا فعل ذلك فإنه من المستغفرين ؟

قال : « لا . لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد » .

قال كميل : أصل الإستغفار ما هو ؟

قال : « الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه ، وهي أول درجة العابدين ، وترك الذنب والإستغفار إسم واقع لمعان ستة :

---

(١) البحار : ج٩٠ ص٢٨٥ باب الإستغفار وفضله وأنواعه ح٢٣ .

أولها : الندم على ما مضى .

وثانيها : العزم على ترك العودة إلى الذنب .

وثالثها : أن تؤدي إلى الناس حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة . . . . . .

وساق الحديث السابق ذاكراً الدعائم الست كلها[1] .

وصدق الله سبحانه حيث يقول : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[3] .

(١) تحف العقول : ص١٣٨ باب في قواعد الإسلام وحقيقة التوبة والاستغفار .

(٢) سورة طه ، الآية : (٨٢) .

ثانيا : الاستغفار بآدابه

قول الإمام أمير المؤمنين في الحديث السابق بعد ذكر دعائم الإستغفار الست « فعند ذلك تقول أستغفر الله » دالٌ على أنه من الضروري أن يستغفر بلسانه وقلبه بعد تحقيق تلك الدعائم لأن الله سبحانه يُحبّ أن يسمع عبده يدعوه ويستغفره .

قد أظمأ الإستغفار هواجر(1) يومه وأوجف(2) الذكر بلسانه .

ولكن للإستغفار آداب وسلوكيات .

فما هي تلك الآداب وتلك السلوكيات ؟

آداب الإستغفار وسلوكياته :

١ـ الغسل :

الذنوب قذارات تتلوث بها الروح ، ويقسو برينها القلب ، ولكن حيث أن الروح تتأثر بالبدن في كثير من الأحيان لذا فإن المذنب إذا اغتسل ساعد هذا الإغتسال على طهارة الجوهر .

---

(١) الهواجر: جمع هاجرة وهي نصف النهار عند إستداد الحر .

(٢) أوجف الذكر بلسانه : أي أسرع كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها .

من هنا قال الرسول (ص) لرجل مذنب جاءه نادماً على ذنبه: « إنه ليس من عبد عمل ذنباً كائناً من كان وبالغاً ما بلغ ، ثم تاب إلا تاب الله عليه فقم الساعة واغتسل وخر لله ساجداً » .

وروي عن مسعدة بن زيادة قال: « كنت عند أبي عبد الله الصادق فقال له رجل: بأبي أنت وأمي إني أدخل كنيفاً ولي جيران وعندهم جواري يتغنين ويضربن بالعود فربما أطلت الجلوس استماعاً مني لهن .

فقال الصادق: لا تفعل .

فقال الرجل: والله ما أتيتهن ، إنما هو سماع أسمعه بإذني .

فقال الصادق: بالله أنت أما سمعت الله يقول : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾[1] .

فقال الرجل: بل والله كأني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله من عربي ولا أعجمي ولا جرم أني لا أعود إن شاء الله وإني أستغفر الله .

فقال الصادق: قم فاغتسل وصلّ ما بدا لك فإنك كنت مقيماً على أمر عظيم ، ما كان أسوأ حالك لو مُت على ذلك ، إحمد الله وسله التوبة من كل ما يكره فإنه لا يكره إلا كل قبيح والقبيح دعه لأهله فإن لكل أهلاً » .

فقوله (قم فاغتسل) ظاهر في أهمية الإغتسال إذا أراد الإنسان أن يستغفر من خطيئة بل أهمية الإغتسال لا تقف عند مرة واحدة بل لو أخطأ الإنسان أو أذنب مرة ثانية أو ثالثة إستحب له الغسل في كل مرة ، مع لحاظ أن تأخير التوبة والإستغفار إلى مرحلة ما بعد الغسل لا يجوز إذْ أن وجوب التوبة والإستغفار من الذنب فوري والغسل مستحب ولا يقدم المستحب على الواجب فضلاً عن الواجب الفوري وطريقة الجمع أن يجعل نية الإستغفار منعقدة في قلبه ثم يغتسل وبعد الغسل يستغفر ربه الإستغفار المطلوب بشروطه ودعائمه ولعل قول

---

(١) سورة الإسراء ، الآية: (٣٦) .

بعض العلماء إذا أراد أن يتوب الإنسان عليه أن يغتسل أولاً لأنهم علموا أن من أراد الإغتسال للتوبة والإستغفار فالنية ملازمة له قبل الغسل وأثناءه فلا داعي لذكر ذلك .

٢ـ الصلاة:

من المتسالم عليه أن من أفضل الأعمال التي تقرب الإنسان إلى ربه (الصلاة) فإنها تَحُتُّ الذنوب حتّ الورق وتطلقها إطلاق الرِّبَق حتى جاءت الأحاديث الشريفة لتوصي الأمة بتعاهد أمرها والمحافظة عليها والتقرب بها والإكثار منها ، من هنا أصبح من الراجح أن يتقرب بها من يريد غفران ذنوبه لأنها قربان المؤمن قال الإمام الصادق: « ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتطهر وصلى ركعتين وآستغفر الله إلا غفر له وكان حقاً على الله أن يقبله لأنه سبحانه قال : ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾(١) » . بل إن من الصلوات التي يُحبذ الإكثار منها خاصة عند اقتراف الخطايا « صلاة الإستغفار » .

فلقد ورد عن النبي (ص) أنه قال: « إذا رأيت في معاشك ضيقاً وفي أمرك التياثاً(٢) فانزل حاجتك بالله عز وجل ، ولا تدع صلاة الإستغفار وهي ركعتان تفتح الصلاة تقرأ الحمد وإنا أنزلناه مرة واحدة في كل ركعة ، ثم تقول بعد القراءة (أستعفر الله) خمس عشرة مرة ثم تركع وتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من الركوع وتقولها عشراً ثم تسجد وتقولها عشراً ثم ترفع من السجدة الأولى وتقولها عشراً ثم تسجد الثانية وتقولها عشراً ثم ترفع رأسك وتقولها عشراً . ثم تفعل في الركعة الثانية كما فعلت في الركعة الأولى تماماً ، فيكون عدد الإستغفار عندئذ مائة وخمسين استغفاراً » .

وكذلك من الصلوات التي تحت الذنوب (صلاة جعفر بن أبي طالب)

---

(١) سورة النساء ، الآية: (١١٠) .
(٢) إختلاطاً وإلتفاتاً .

والمسماة بصلاة التسبيح ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على استحبابها وروت في فضلها الشيء الكثير من الأحاديث :

فعن الباقر قال : « قال رسول الله (ص) لجعفر بن أبي طالب : يا جعفر ألا أمنحك ؟ ألا أعطيك ؟ ألا أحبوك ؟ ألا أعلمك صلاة إذا أنت صليتها لو كنت فررت من الزحف وكان عليك مثل رمل عالج وزبد البحر ذنوباً غفرت لك ؟ قال : بلى يا رسول الله ، فعلمه إياه وهي أربع ركعات بتشهدين وتسليمين والقراءة في الأولى بعد الحمد (الزلزلة) وفي الثانية بعد الحمد (العاديات) وفي الثالثة بعد الحمد (النصر) وفي الرابعة بعد الحمد(الإخلاص) وإذ فرغ من القراءة في الركعة الأولى قال قبل أن يركع « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم يركع ويقول في ركوعه مثل ذلك عشراً ثم يرفع رأسه ويقول عشراً ثم يسجد ويقول عشراً ثم يرفع رأسه من السجود ويجلس ويقول عشراً ثم يسجد ويقول عشراً ثم يرفع رأسه من السجود ويجلس ويقول عشراً ثم يسجد ثانية ويقول عشراً ثم يرفع رأسه ويجلس ويقول عشراً فيكون عدد التسبيحات خمس وسبعين تسبيحة ، ثم يقوم للركعة الثانية ويصنع فيها ما صنعه في الأولى ، ثم يصنع في الثالثة والرابعة مثل ذلك فتكون التسبيحات حينئذ ثلاثمائة تسبيحة »(1) .

وكلما أكثر الإنسان من الصلاة وتقرب إلى ربه بالنوافل كان أفضل وأسرع لقبول استغفاره وتوبته .

فلقد ورد في كتاب الإقبال في باب أعمال شهر ذي العقدة : « أن رسول الله (ص) قال لأصحابه : يا أيها الناس من كان منكم يريد التوبة ؟

قلنا : كلنا نريد التوبة يا رسول الله .

فقال (ص) : إغتسلوا وتوضأوا وصلوا أربع ركعات وآقرأوا في كل ركعة

---

(1) البحار : ج٨٨ ص٢٠٨ باب فضل صلاة جعفر بن أبي طالب (ع) وصفتها وأحكامها ح١٢ .

فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثة مرات والمعوذتين مرة . ثم آستغفروا سبعين مرة ثم آختموا بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قولوا (أي ليقل كل واحد منكم) : يا عزيز يا غفار ، إغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ثم قال (ص) : « ما من عبد من أمتي فعل هذا إلا نودي من السماء ، يا عبد الله إستأنف العمل فإنك مقبول التوبة مغفور الذنب .

وينادي ملك من تحت العرش : أيها العبد ترضى خصماؤك يوم القيامة .

وينادي ملك آخر : أيها العبد تموت على الإيمان ولا أسلب منك الدين ويفسح في قبرك وينوّر فيه .

قلنا : يا رسول الله لو أن عبداً يقول هذا في غير الشهر (أي في غير ذو العقدة) .

فقال (ص) : مثل ما وصفت وإنما علمني جبرائيل (ع) هذه الكلمات أيام[١] أسري بي »[٢] .

٣ـ الصدقة :

تعتبر الصدقة من أفضل الوسائل لغفران الذنوب ، خاصة إذا كانت بالسرّ .

فلقد روي عن الإمام الباقر أنه قال : « أفضل ما توسل به المتوسلون الإيمان بالله . . . . وصدقة السر فإنها تذهب الخطيئة وتطفيء غضب الرب والمستغفر بلا شك يريد أن تغفر خطيئته وأن يرفع عنه غضب ربه »[٣] .

ولقد عدّها العلماء سبباً من أسباب غفران الذنوب كما دلّ على ذلك قوله

(١) اقبال الأعمال : ص٣٠٨ باب في أعمال شهر ذي القعدة .
(٢) لعله أراد ليلة أسرى بي .
(٣) الوسائل : ج٦ ص٢٧٦ باب ١٣ من أبواب الصدقة حديث ٤ .

تعالى: ﴿ **إن تبدو الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** ﴾[1].

فالآية صريحة في أن صدقة السر تكون سبباً في تكفير السيئات وغفران الذنوب وذلك من قوله: ﴿ **وإن تخفوها .... يكفر عنكم من سيئاتكم** ﴾ كما أننا نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾[2]. نلاحظ إرتباط قبول التوبة بمسألة الصدقة ولا غرو في ذلك فإن للصدقة شأناً عظيماً. يقول الرسول (ص): « خلتان لا أحب أن يشاركني فيهما أحد. وضوئي فإنه من صلاتي وصدقتي فإنها من يدي إلى يد السائل فإنها تقع في يد الرحمٰن »[3].

وقول الإمام الصادق: « إن الله تبارك وتعالى يقول ما من شيء إلا وقد وكلت من يقبضه غيري إلا الصدقة فإني أتلقفها بيدي تلقفاً »[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أفضل من تصرف لهم الصدقات الأرحام فإن الأجر يتضاعف فهي من جانب صدقة ومن جانب آخر صلة رحم. فلقد روي أن رسول الله (ص) قال: « إن الصدقة على ذي القرابة يضعف أجرها مرتين »[5]

وقال (ص): « لا صدقة وذو رحم محتاج »[6]

وقال أيضاً (ص): « إبدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك »[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٤).

(٣) الخصال: ص٣٣ باب الإثنين في (قال النبيّ (ص) خصلتان لا أحب أن يشاركني فيهما أحد).

(٤) الوسائل: ج٦ ص٢٨٣ باب ١٨ من أبواب الصدقة ح٣.

(٥) كنز العمّال: ج٦ ص٣٩٥ خ١٦٢٢٦.

(٦) الإختصاص: ص٢١٩.

(٧) البحار: ج٩٣ ص١٤٧ باب آخر في آداب الصدقة ح٢٤.

وقال أيضاً (ص): « أفضل الصدقة على أختك أو ابنتك وهي مردودة عليك ليس لها كاسب غيرك »[1] .

٤ـ حسن الظن بالله:

من آداب الإستغفار المهمة أن يحسن المستغفر الظن بربه بمعنى أن يجعل في قرارة نفسه أن الله سبحانه أهل لأن يغفر له مهما كان حجم ذنوبه ونوعها ، وذلك لأنه إنما هلك من هلك وأصبح عمل الكثير هباءً منثوراً لسوء ظنهم بربهم قال تعالى: ﴿ **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** ﴾[2] . فلقد فسر الرسول (ص) هذه الآية وأوضح مفهومها حيث أن منطوقها واضح لذي لب قال (ص): « ليس من عبد يظن بالله عز وجل خيراً إلا كان عند ظنه بربه وذلك قوله عز وجل ﴿ **وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** ﴾ » . فالآية صريحة في تبيان أن سوء ظن من أشارت إليهم الآية بربهم هو الذي أرداهم ولو أنهم أحسنوا الظن بربهم لكان حسن ظنهم منقذاً لهم من النار .

كما قال الرسول (ص): « لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله عز وجل فإن حسن الظن بالله عز وجل ثمن الجنة »[3] .

رويداً لا تعجل لعلك تسأل الآن وتقول: إذا كان حسن الظن بالله ثمن الجنة وأن القضية المصيرية متعلقة بمسألة حسن الظن أو سوء الظن بالله إذن لا حاجة للعمل الصالح ، وبالتالي بإمكان أي إنسان مجرم أن يحسن ظنه بربه ويدخل الجنة وهذا مخالف للنصوص الصريحة في القرآن الكريم وسنة الرسول (ص) وأهل بيته فما هو المخرج من هذا اللبس ؟

والجواب بكل سهولة ، إنما يرد هذا الإشكال إذا قلنا بأن حسن الظن بالله

---

(١) البحار: ج٩٣ ص١٨١ باب آخر في أنواع الصدقة وأقسامها ح٢٧ .
(٢) سورة فصلت ، الآية: (٢٣) .
(٣) كنز العمّال : ج٣ ص١٣٧ خ٥٨٦١ .

شيء والإيمان والتقوى والعمل الصالح شيء آخر أما إذا قلنا بأنهما شيء واحد من حيث كونهما أمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر وإذا فقد أحدهما فقد الآخر فإن الإشكال حينئذ لا يلبث أن ينقشع كما تنقشع سحابة الصيف .

والتحقيق في المقام يكشف لنا عن تلازمهما وعدم انفكاكهما عن بعضهما فإما أن يكونا معاً أو ينعدما معاً ولعل فيما أوضحه إمامنا أمير المؤمنين في نهج البلاغة دليل على ذلك حيث قال: « إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فآجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله »(١) .

فقول الإمام « فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه . . إلخ » واضح في الدلالة على أنه لا يحسن الظن بالله إلا الخائفون منه .

ومن هنا يرد سؤال من هم الخائفون من الله ؟

والجواب جلي في قوله تعالى: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ فهم أحسن الناس ظناً بالله لأنهم آمنوا به وصدقوا برسله وخافوا من نقمته ولم يدنسوا أنفسهم بالذنوب والمعاصي . أما العلماء العاصون الذين اتخذوا آلة الدين للدنيا وأصبحوا سلسي القياد للشهوة فهؤلاء ليسوا علماء إذا ما تدبرنا معنى العلم والعلماء في القرآن . ذلك لأن العالم العاصي يسلبه الله من نور العلم بقدر معصيته وإذا انسلخ عن طاعة الله ولجأ إلى معصية . . . وأوقف نفسه للشيطان فإن الله سبحانه يسلبه نور علمه بكامله كما قال تعالى: ﴿ **وآتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فآنسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وآتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فآقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾(٢) .

---

(١) نهج البلاغة ، كتاب: ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: (١٧٥ ـ ١٧٦) .

والمحصلة أنه من آمن بالله وبكل الضروريات الدينية وعمل صالحاً وخاف ذنوبه ورآها بعين بصيرته كالجبل على ظهره فإن هذا السلوك يلازمه حسن الظن بالله ، ومن كفر بالله أو بأي شيء من ضروريات الدين لا عن شبهة أو لُبْس وإنما عن عناد وتجبر وآتباع للهوى والدنيا ، وآستمر في بغيه وعصى وظلم وآعتدى وغضب وهتك وآرتكب الجرائم البشعة وترك الواجبات مع استيقان نفسه بأنه مسؤول عن الإلتزام بترك المعاصي وفعل الطاعات فإن هذا السلوك بالطبع بل بكل تأكيد لا يقترب منه حسن الظن بالله ، بل يلازمه سوء الظن بالله لما علم من نفسه أنها خالفت أوامر ربها وفعلت المعاصي وأصرت عليها عن تجبر وعتو وعناد .

وها هو أمير المؤمنين يفسر لنا معنى حسن الظن بالله بكلمات أكثر صراحة مما سبق من كلامه فيقول: « حسن الظن أن تخلص العمل وترجو من الله أن يعفو عن الزلل » . فقوله : « أن تخلص العمل » واضح في دلالة تلازم الإخلاص في العمل مع حسن الظن بالله . حيث فسر حسن الظن بالإخلاص والرجاء وليس الرجاء فقط .

٥- الإستغفار بالسر:

لا شك أن الإستغفار هو دعاء ذلك لأنه يعني طلب الستر والمغفرة وهذا الطلب دعاء . وقد حث القرآن الكريم على أن يكون الدعاء بالسر والخفية أي بين العبد وربه في الخلوات كما قال تعالى: ﴿ **آدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾[(١)] .

وأكد سبحانه على أهمية الأمر في نفس السورة في آخرها فقال: ﴿ **وآذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾[(٢)] . فقوله في الآية الثانية ﴿ **ودون الجهر من القول** ﴾ مساوٍ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: (٥٥) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية: (٢٠٥) .

﴿ **وخفية** ﴾ في الآية الأولى .

وآستخدم القرآن لفظة الخفية في سورة الأنعام أيضاً فقال سبحانه: ﴿ **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية** ﴾ .

قصة:

ولقد روي أن النبي (ص) كان مع بعض أصحابه ذات مرة فاشتغلوا بالصلاة والذكر والإستغفار والتسبيح والدعاء وعلت أصواتهم هذا يقول بصوت عال رب إغفر لي وآخر يقول رب استجب دعائي . فلم يُرضِ هذا المنظر رسول الله (ص) فقام خطيباً فقال في ضمن ما قال: « إنكم لا تدعون أصماً وغائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو أقرب إلى أحدكم من عُرف فرسه » .

وصار يحثهم على ضرورة الإستغفار والدعاء والإبتهال بالسر لأن ذلك أخشع للقلب وأقرب إلى إخلاص النية .

يقول الطبرسي رضوان الله عليه (إن قوماً من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه (إجذع أنفك) أو (إصلم أذنك) أو (إفعل كذا) فيفعل ما أمر به فيغفر له ذنبه ونحن لم نؤمر بمثل ذلك فتلك ذنوبناً لا نعرف لها مكفراً ولا غافراً فسكت رسول الله (ص) ثم قال: « ألا أخبركم بخير من ذلكم ؟ ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فآستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾[1] » أي استغفروا الله وندموا على فعلهم وطلبوا من الله العفو عنهم ﴿ **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** ﴾[2] .

وهذا دليل على أن الإنسان إذا صدرت منه خطيئة أو وقعت منه هفوة فإن الأفضل له أن يسترها ويستغفر الله منها فلقد ورد عن الإمام الرضا قوله : « إن

---

(١) سورة الأنعام ، الآية: (٦٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: (١٣٦ .

المستتر بالسيئة مغفور له »[1] وليس من الراجح أن يشهر نفسه بالخطيئة أو يقدم نفسه للقضاء لأن يقتص منه أو يقام الحد عليه فإن مجرد الندم عليها وطلب العفو من الله كاف لغفرانها وتكفيرها وإنما يشترط القصاص أو إقامة الحد في حصول المغفرة إذا قُدّم إلى القضاء وأقر على نفسه الإقرار الشرعي المستند على الموازين الشرعية أو بشهادة الشهود أو ما شابه ذلك . ولقد كان الكثير من الرجال والنساء يأتون إلى أمير المؤمنين ويعترفون عنده بالخطيئة ويطلبون منه إقامة الحد عليهم فيأمرهم بالإستتار والإستغفار والندم على ذلك كاف لحصول المغفرة من الله فإذا ألح أحدهم في ذلك عليه قال الإمام المرتضى لعل مراراً هاج بك يعني (جنوناً) وقع بك أو طرأ عليك ينبهه إلى أن الأولى والأفضل أن يستغفر المذنب بينه وبين ربه سراً وخفية ودون الجهر من القول .

٦ـ تكرار الإستغفار والإكثار منه :

إن تكرار الإستغفار والإكثار منه موجب لغفران الذنوب إذا كان صادراً من قلب صادق لأنه ما كثر الطرق على باب إلا أوشك أن يفتح قال الرسول (ص) : « أكثروا من الإستغفار فإن الله عز وجل لم يعلمكم الإستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم »[2] .

وقال الإمام الصادق: « إذا أكثر العبد من الإستغفار رفعت صحيفته وهي تتلألأ »[3] .

وقال الإمام الرضا « مثل الإستغفار مثل ورق على شجرة تحرك فتناثر »[4] بمعنى أنه كلما تحركت الشجرة كلما سقط من ورقها فإذا كثر التحريك لها سيكثر الورق المتساقط وربما لا يبقى شيء من أوراقها والإستغفار يفعل في الذنوب كما يفعل تحريك الشجرة بالنسبة إلى ورقها نعم يستحب التركيز على

---

(١) الكافي : ج٢ ص٤٢٨ باب ستر الذنوب ح١ .
(٢) الوسائل: ج٤ ص١٢٠٠ باب ٢٣ من أبواب الذكر ح١٢ .
(٣) الوسائل: ج٤ ص١١٩٨ باب ٢٣ من أبواب الذكر ح٣ .
(٤) الوسائل: ج٤ ص١١٩٨ باب ٢٣ من أبواب الذكر ح١ .

بعض الأعداد الواردة في السنة الشريفة وتكرار تلك الأعداد أمر تعبدي كالعدد سبعين والعدد مائة مثلاً .

وتكرار العدد يعني أن يستغفر الإنسان مثلاً سبعين مرة ثم يستغفر سبعين مرة أخرى ثم سبعين مرة ثالثة وهكذا .

قال تعالى : ﴿ **إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾[1] . فإن هذه الآية وإن كانت تعني أنه يا رسولنا ويا حبيبنا لو أنك استغفرت للمنافقين الذين عنتهم الآية سبعين مرة فإنه لن يغفر لهم . إلا أن فيها إشارة واضحة لذي لب أنه من يستغفر الله سبعين مرة فإن الله سبحانه يغفر له ، غير أن من عنتهم الآية خارجون بدليل خاص ، وهو أنهم ليسوا أهلاً لأن يغفر لهم لنفاقهم وعدم إخلاصهم .

وروي عن الإمام الصادق أنه قال: « في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾[2] قال: كانوا يستغفرون في الوتر سبعين مرة في السحر فمن استغفر في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية » [3] .

وقال أيضاً: « من قال في وتره إذا أوتر (أستغفر الله وأتوب إليه) سبعين مرة وهو قائم فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة كتبه الله من المستغفرين بالأسحار ووجبت له المغفرة من الله تعالى »[4] .

حول العدد مائة روي عن الإمام الصادق أنه قال: « كان الرسول (ص) يتوب إلى الله ويستغفره في كل ليلة مائة مرة من غير ذنب »[5] .

إلى غير ذلك من الروايات .

---

(١) سورة التوبة ، الآية: (٨٠) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : (١٧) .

(٣) مجمع البيان الجزء ٣ من المجلد ٢ ص٣٤ .

(٤) الوسائل ج٤ ص٩٠٩ باب ١٠ من أبواب القنوت ح٢ .

(٥) الكافي : ج٢ ص٤٥٠ باب نادر ح٢ .

ويلاحظ على هذين العددين أن العدد سبعين هو الأصل كما دلت على ذلك الآية الكريمة السابقة ﴿ **إن تستغفر لهم سبعين مرة** ﴾ فمن استغفر ربه الإستغفار الجامع للشرائط والدعائم والآداب سبعين مرة كان حقاً على الله سبحانه أن يغفر له .

ولكن إذا كثر الطرق على باب الغفور الرحيم وزاد عدد الإستغفار إلى مائة فإن ذلك راجح أيضاً من باب أن الإستغفار بالنسبة للذنوب كتحريك الشجرة بالنسبة لتساقط الورق منها .

فكلما كثر التحريك كلما كثر سقوط الورق ، وراجح أيضاً من باب ما كثر الطرق على باب إلا أوشك أن يفتح .

٧ـ العفو عن الناس:

قديماً قيل: (من لا يرحم لا يُرحم) ولعل هذه المقولة صادقة في محتواها في كثير من الأحيان ، فمن لا يعرف معنى للعفو عن الناس فيما إذا أساؤا إليه فإنه في الغالب لا يكون مؤهلاً لاستحقاق عفو الله سبحانه وصفحه .

ولقد دلّ القرآن على ذلك حيث قال تعالى: ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾[١] .

فالشاهد في قوله ﴿ **وليعفوا وليصفحوا** ﴾ حيث أمر الله سبحانه بالعفو والصفح ثم ارتباط هذه العبارة بقوله تعالى : ﴿ **ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ كأنما المعنى وبكل وضوح إن لم تعفوا أو لم تصفحوا ففعلكم هذا يدل على أنكم لا تريدون أن يغفر الله لكم ، كأنما يريد أن يقول: إن أردتم أن يغفر الله لكم فآعفوا وآصفحوا .

فأين هم الذين يبحثون عن عفو الله وصفحه ؟ لماذا الكثير منهم يريد

---

(١) سورة النور ، الآية: (٢٢) .

التشفي والإنتقـام ، ورد السيئة بـالأسوأ . أمـا لهم في كتـاب الله عبـرة ؟ هـل آستغنوا عن عفو الله ؟؟ كيف يحبون العفو لأنفسهم ويكرهونـه لغيرهم ؟! أين هم عن عفـو رسول الله (ص) عمن ظلمـوه وأسـاؤوا إليـه وشهـروا السيف في وجهه ؟ حتى قال لهم عند فتح مكة : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

هل سمعوا بعفو يوسف الصديق عن إخوته حيث قال لهم : ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**﴾[1] .

أم بعد لم يسمعوا ذلك ؟ هل سمعوا عن شخصية تحدّث نفسها بـالعفو عن قاتلها ؟ هل سمعوا ما قاله أمير المؤمنين لما ضربه عبد الـرحمٰن بن ملجم المرادي : « أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم فإن أبق فأنا ولي دمي وإن أفن فالفناء ميعادي وإن أعف فالعفو لي قربة! . وهو لكم حسنة ثم ثم تلا هذه الآية ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ »[2] .

ما ظنكم بمن يأمر بالإحسان إلى قاتله حيث قال الإمام لـولده الحسن : « . . . . . الله الله في أسيركم أطعموه مما تأكلون وآسقوه مما تشـربون ولـدي حسن أقسم عليـك بعظيم حقي الـذي عـرفتـه لا تقيّـد لـه رجـلاً ولا تغـل لـه يداً!! » . . . . إنه سلوك أهل البيت الذين يبحثـون عن أتباع صـادقين فهل نكون من أتباعهم ؟ وهل نحن قادرون على ترويض أنفسنا وحملها على ما تكره كي لا تأخذنا نزعات الجاهلية الأولى ، وأحقادها القاتلة ونكون أخوة متحـابين حاملين أخلاق آل محمد (عليهم السلام) نعفو عمن ظلمنا ونصـل من قطعنـا ونحسن إلى من أساء إلينا ؟ نسأل الله أن نكون كذلك إنه سميع مجيب .

٨ـ الإعتراف بأنه لا غافر للذنوب إلا الله:

يقول القرآن الكريم على لسان نبي الله نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : ﴿ **وإلاّ تغفر لي وتـرحمني أكن من الخاسـرين ، قيل يـا نوح اهبط**

(١) سورة يوسف ، الآية: (٩٢) .

(٢) سورة النور ، الآية: (٢٢) .

بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سَنُمَتِّعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾[1] .

لقد كان سؤال نوح يتعلق في أمر نجاة ولده كنعان وطلب نوح النبي نجاة ولده من الغرق لا يعد ذنباً أبداً وإن كان الأولى ترك السؤال لكن شاهدنا هنا لما أقر نوح النبي بذلك وآعتبره خطأ وذنباً واعترف أنه لا مقيل له سوى ربه وذلك مما نطق القرآن على لسانه ﴿ **وإلّا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين** ﴾[2] جاء الرد الرحماني ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم** . . . ألخ ﴾[3] وتلاحظ هذه الفكرة في قوله تعالى: ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة . . . فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا** ﴾[4] حيث أن الله سبحانه فصل بين المعطوف عليه ﴿ **فآستغفروا** ﴾ والمعطوف ﴿ **لم يصروا** ﴾ بجملة إعتراضية وهي ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ بمعنى أن هؤلاء حينما ذكروا الله سبحانه وآستغفروا لذنوبهم وعلموا أن لا غافر لهم إلا الله لذلك غفرنا لهم وجاءت الآية الثانية تتحدث عن ثواب المستغفرين ﴿ **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم** . . . ألخ ﴾ .

وقال النبي (ص): « إن العبد ليقول : اللهم اغفر لي ، وهو معرض عنه ثم يقول : اللهم آغفر لي وهو معرض عنه ثم يقول : اللهم آغفر لي ، فيقول الله سبحانه للملائكة: ألا ترون إلى عبدي سألني المغفرة وأنا معرض عنه ثم سألني المغفرة وأنا معرض عنه ، ثم سألني المغفرة ، علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا أشهدكم أني قد غفرت له » . فقوله (ص) : « علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا أشهدكم أني قد غفرت له » دليل على إثبات هذا .

---

(١) سورة هود ، الآية: (٤٧ ـ ٤٨) .
(٢) سورة هود ، الآية: (٤٧) .
(٣) سورة هود ، الآية: (٤٨) .
(٤) سورة آل عمران ، الآية: (١٣٥) .

ولعلك تسأل كيف يعلم العبد أنه لا غافر له إلا الله ؟

الجواب :

لا يتأتى ذلك إلا من خلال البناء الفكري للإنسان وتكوين العقلية الإسلامية المطلوبة وذلك لا يتأتى إلا من خلال التفكير في النفس والكون والأمم الماضية حيث أن معرفة النفس والكون والتاريخ يعتبر من أهم المعارف التي تُقَوِّم فكر الإنسان وتجعل منه إنساناً عارفاً حق ربه وحق نفسه وحق الناس عليه .

٩ـ الإعتراف بعصيان الله بنعمه :

هناك شيئان مهمان يحتمان على الإنسان أن يستحي من ربه حق الحياء :

أـ النعم العظيمة التي لا تحصى وأنّى للإنسان أن يحصيها وهل مرت به ساعة واحدة إستغنى فيها عن نعم الله سبحانه ؟ وهل أصل وجوده إلا نعمة من نعم الله العظيمة ؟ أم هل يستطيع أن يتلذذ بنعيم الحياة بدون عافية ؟ وهل العافية إلا من الله سبحانه ؟

هل سمعنا مقولة ذلك الأعرابي الذي دعاه الحجاج الثقفي إلى طعامه وهو في طريقه في منطقة بين مكة والمدينة ، حيث قال :

« دعاني من هو خير منك فأجبته ! ! فبان الغضب في وجه الحجاج ،

وقال له : ومن ذلك الذي هو خير مني ؟ !

فقال الأعرابي : لقد دعاني الغفور الرحيم إلى الصيام فصمت فكأنما ألقم الحجاج حجراً !

فقال له : أخّر صيامك إلى الغد وتناول معي هذا الطعام اللذيذ .

فقال له الأعرابي : وهل تضمن بقائي إلى يوم غد ؟

قال الحجاج : ذلك لا أضمنه لنفسي فكيف أضمنه لغيري ! ! غير أن الطعام طيب فأحببت أن تأكل معي .

فقال الأعرابي : ما طيبته أنت وإنما طيبته العافية التي ألبسك الله إياها » .

نعم لولا العافية لأصبح كل لذيذ من الطعام مراً وعلقماً بل قد لا يكون بالإمكان تناوله .

فأمام هذه النعمة وأمثالها من آلاف النعم التي لا يمكن للعادّين إحصاؤها يتحتم على الإنسان العاقل أن يستحي من ربه إذا ما أمره بأمر أو نهاه عن نهي أرأيت لو أسدى إليك أحدٌ جميلاً ألا تستحي منه ؟ ؟ ثم كيف تتعامل مع شخص يراك بلا مأوى ولا مال ، ولا ثياب فيعطيك المال والثياب ويهيىء لك مأوى ويملكك إياه ويقول لك هذه الدار وهذا المال وهذه الثياب ملك لك ، ألا يكبر هذا الشخص في عينيك وتكون له أرضاً كما كان لك سماء وتتمنى أن يطلب منك حاجة لتنفذها له بعينيك قبل يديك ؟ ؟ مع أن هذا الشخص ما أعطاك العين التي بها ترى والأذن التي بها تسمع واليد التي بها تبطش والرجل التي بها تمشي والروح التي بها تعيش والعافية التي بها تتنعم ، بل لو سلب منك شيء من هذه النعم ما آستطاع ذلك الشخص ردها إليك إلا بإذن الله ، كما أن هذا الشخص حيث أكرمك نظر إلى ظاهرك ، إذ لو نظر إلى باطنك وعلم أنك تحاربه وتعانده لاسترجع عطيته منك وأهانك والله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ الذي وهبنا الحياة والعافية والسمع والبصر وأكرمنا بالنعم العظيمة قد اطّلع على سرائرنا وعلم بما انطوت عليه نياتنا فرآنا نتقلب في نعمه وعافيته وفي نفس الوقت نعانده ونحاربه ونعصي أوامره ونركض خلف نواهيه وأعظم من ذلك أننا عصيناه بنعمه وتقوينا على عباده بعافيته ، وما سلبنا ما أنعم به علينا ، بل تكرم وتفضل وتطول وزاد في بسط نعمه وستر علينا قبح سلوكنا وقلة حيائنا .

وبعد كل هذا أليس من التعقل بمكان أن ننكس رؤوسنا وإلى الأبد إستحياءً من ربنا ؟

ب ـ مقابلة هذه النعم بالعصيان وبلا حياء :

يقول المرحوم السيد عبد الله البلادي : « روى لي أحد أقاربي ، بعد رجوعه من فرنسا التي بقي فيها عدّة سنوات للدرس فقال : استأجرت في باريس

بيتاً وكنت قد اقتنيت كلباً للحراسة ، وفي الليل كنت أقفل الباب ، وينام الكلب بالقرب منه ، وكنت أذهب إلى الدرس وعندما أعود أدخل البيت ويدخل الكلب معي . في أحدى الليالي تأخرت في العودة وكان الطقس بارداً ، فآضطررت لرفع ياقة معطفي لأغطي بها أذني ورأسي ، ولبست القفاز في يدي وغطيت وجهي فلم يبق مكشوفاً منه سوى عينيّ ، لأرى بهما طريقي ، ووصلت إلى البيت على هذه الحال ، وما أن أردت فتح الباب حتى أخذ الكلب يزمجر فقد أنكرني للوهلة الأولى لأنني كنت قد غيرت صورتي ، وغطيت وجهي وهجم علي ، وأمسك بي من طرف معطفي فألقيت المعطف فوراً وكشفت وجهي ، وصرخت به حتى عرفني ، فزحف وهو في غاية الحياء إلى زاوية من الزقاق ، فتحت الباب ودخلت ، وأخذت أُلح على الكلب كي يدخل معي فلم يدخل ، فآضطررت بالتالي لأن أقفل الباب وأنام ، وفي الصباح عندما أتيت أتفقد الكلب وجدته ميتاً فعلمت أنه إنما مات لشدة الحياء!!! » .

ألا تقشعر الأبدان من هذه القصة الواقعية ؟ كلب يعتدي على صاحبه وعن طريق الخطأ وآلإشتباه ، فيستحي أن يدخل داره ويبقى بلا طعام ولا ماء حتى يموت . لماذا كل هذا الحياء !!؟؟

أكلُّ هذا مقابل قطعة عظم يكسوها شيء من اللحم يلقيها ذلك الرجل لهذا الكلب فيبقى الكلب حافظاً للجميل يطيع أوامر سيده وينكس رأسه أمام زواجره حتى إذا ما أخطأ ذلك الخطأ . . .

اختار الممات على الحياة استحياء من صاحبه . أينك أيها الإنسان ؟؟ في أي واد تسير ؟!! وفي أي نعمة أنت تتقلب ؟؟ ومن الذي يطعمك ويسقيك ؟!! وإذا مرضت فمن يشفيك ؟؟ ومن الذي غذاك صغيراً وكبيراً وحفظك طفلاً وكهلاً ؟؟! وعلى أرض من أنت تمشي ونعمة من أنت تأكل ؟؟! وتحت سماء من أنت تستظل ؟؟! ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾[1] .

---

(١) سورة عبس ، الآية : ١٧ .

هـا هو الإمـام السجاد يـذكرنـا بقلة حيـائنـا من الله فيقـول وهـو الإمـام المطهر ـ ليربينا ويعلمنا: « أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملأ » وفي عبارة أخرى يقول : « أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني » .

من هنا كان من الآداب الضرورية لمن أراد الإستغفار من ذنوبه أن يتذكر نعم الله سبحانه عليه أولاً ويعترف إعتراف النادمين بمقابلة هذه النعم بالعصيان بل باستخدامها في ذلك العصيان .

وإليـك هذه القصـة فاقـطف منها ثمـار الإتعـاظ والإعتبـار: عن الإمـام الحسين بن علي « أن أعرابياً جاء إلى أمير المؤمنين ، فشكى إليه الفقر ، فقال لـه الإمام علي (ع) عليـك بالإستغفـار يا أعـرابي فـإن الله تعـالى ذكـره يقـول ﴿ **آستغفـروا ربكم إنه كـان غفارا ، يـرسل السمـاء عليكم مدراراً ويمـددكم بأموالٍ وبنين ويجعـل لكم جناتٍ ويجعـل لكم أنهاراً** ﴾ [1] فمضى الأعـرابي وآستغفر كثيراً ولكن كاستغفار العامة من الناس اللسان يتحرك بالإستغفار والقلب ساه والفكر لاه والعمل يخالف ما يتلفظ به اللسان . مكث الأعرابي مدة طويلة فما تغير وضعه .

وعاد إلى الإمام علي وقـال: إني قد استغفـرت الله كثيراً ومـا أرى مالي يزداد!! لنسأل أنفسنا أيكون هذا الأعرابي عارفاً طـريق الإستغفار الصحيـح أم ضالاً عنه ؟

الشيء الـذي لا يقبل الجـدل هو أن القـرآن لا ينطق إلا بـالحق . فهـو يقول : ﴿ **ويمددكم بأموال** ﴾ والمعنى « إن تستغفروا الله يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال . . . إلخ » فإذن من المؤكد أن الأعرابي ومئات الملايين من المسلمين ضلوا طريق الإستغفار كما ضلّه هو ولا مبالغة .

المهم: إلتفت الإمام إلى الأعرابي

---

(١) سورة نوح، الآيات: (١٠ ـ ١٢) .

وقال له: « لعلك لا تحسن أن تستغفر ؟!! »

قال: فعلمني يا أمير المؤمنين

قال له الإمام علي : يا أعرابي أخلص نيتك وأطع ربك وإذا أويت إلى فراشك فقل: « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك أو آتكلت فيه عند خوفي منه على أناتك ، أو وثقت فيه بحلمك ، أو عوّلت فيه على كريم عفوك ، اللهم إني أستغفرك من كل ذنب خنت فيه أمانتي ونجست بفعله نفسي أو احتطبت به على بدني أو قدمت فيه لذتي أو آثرت فيه شهوتي أو سعيت فيه لغيري أو استغويت إليه من تبعني أو غلبت عليه بفضل حيلتي أو أَحَلْتُ عليك فيه . مولاي فلم تغلبني على فعلي إذ كنتَ كارهاً لمعصيتي ، لكن سبق علمك بفعلي فحلمت عني لم تدخلني فيه جبراً ولم تحملني عليه قهراً تظلمني فيه شيئاً ، صلّ على خيرتك من خلقك محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وفرج عني »

وآبكِ يا أعرابي وإن لم تجد البكاء فتباك ، قال الإمام الحسين بن علي : فغاب عنا الأعرابي سنة ثم عاد إلينا ، فقال : يا أمير المؤمنين قد كثر مالي ولا أجد موضعاً أشد فيه إبلي وغنمي وأضع مالي كثرة . . . . » .

والسؤال المطروح الآن:

بماذا يفترق هذا النوع من الإستغفار عن غيره ؟؟؟

والجوابواضح في كل فقرة من فقراته: حيث تضمنت تلك الفقرات وبصراحة تامة مسألة الإعتراف باستخدام نعم الله ومننه وعطاياه على عصيانه وإعلان الحرب عليه وعلى رسله وأنبيائه . الأمر الذي لو مات الإنسان ندماً على نفسه حيث استخدم نعم سيده ومولاه في إعلان الحرب عليه ما كان عندهم جديرا . . .

وتعالَوا معي لنتمشى في ظلال تلك الفقرات الذهبية وأين منها الذهب ؟؟؟

قوله: « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك » فلو كان المذنب مقعَداً على فراش المرض شأنه شأن الكثير ممن قضى السنين الطوال في المستشفيات يطلب الموت فلا يعطاه بل يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت . لو كان كذلك هل يكون بوسعه أن يتنقّل في البلدان وفي مواطن الفساد لإرضاء شهوة رخيصة عنده سرعان ما تزول لذتها وتبقى تبعتها!! أم هل بإمكانه أن يتعنتر على زوجته المسكينة التي بذلت روحها إليه فهي تطبخ طعامه وتغسل ثيابه وتكنس بيته وتربي أطفاله وتكون له سكناً ويداً ورجلاً وجناحاً . فالزوجة الصالحة هي اليد والرجل والجناح وأكثر من ذلك .

لقد أساء الإنسان استخدام هذه العافية فبدل أن يستفيد منها في طاعة الله سبحانه ويتنعم بها فيما أباحه الله له لقد جعلها مطيته إلى الجحيم . فظلم بها زوجته وتطاول بها على حقوق والديه وتقوّى بها على ظلم الناس . فأوردته النار وبئس الورد المورود إلا إذا تدارك بها نفسه في الدنيا قبل الآخرة .

قوله: « أو نالته قدرتي بفضل نعمتك » العافية شيء والقدرة شيء أخر فكل واحدة منهما نعمة فقد يكون الإنسان صحيحاً معافى ليس به أي مرض لكن لا قدرة له على إتيان النساء مثلاً أو يكون صحيحاً معافى لا مرض عنده ولكن لا قدرة له على حمل الأثقال . فهذا الإنسان لو حرمه الله القدرة على إتيان النساء هل كان بوسعه أن يتفنن في هتك أعراض الناس وينتقل من حجر مومسة إلى صدر ساقطة ؟ هل يريد هذا الإنسان أن يسلبه الله هذه النعمة فيحرمه لذة النكاح المشروع ولو حرمه الله القدرة على حمل الأثقال هل كان بإمكانه التمتع بآلاف اللذائذ التي تعتمد أولاً وأخيراً على حمل الأثقال ؟ بالطبع لا .

فالله سبحانه أعطى الإنسان القدرة على البصر بعينيه ليعيش حياة هانئة سعيدة ينظر بهما إلى زوجته ويتلذذ بجمالها وينظر بهما إلى جمال الطبيعة وإلى مناظرها الخلابة وإلى الأطعمة والأشربة وأنواعها إلى غير ذلك لا أن يستخدم قدرة الإبصار في معصية المنعم عليه فحق للمستغفر أن يندم ويقول: « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب نالته قدرتي بفضل نعمتك » كما دل على ذلك عطف العبارة .

قوله: « أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك » والرزق أيضاً نعمة أخرى من نعمه سبحانه والنعمة أعم وأشمل من الرزق فجاءت العبارة هذه لتضع النقاط على الحروف فكم هم الذين اعتدوا على حقوق الناس وامتدت أيديهم إلى أملاك غيرهم مستعينين على ذلك بالرشوات والهدايا المزيفة فآستطاعوا بهذه وتلك وغيرهما التحايل على حقوق الغير أو صرف الأموال الطائلة على موائد الخمر والقمار وفي أوكار الفساد فانظر كيف يستعان برزق الله ونعمه على معصيته إنه لذنب عظيم لا يجد الإنسان منه مخلصاً إلا إذا عرف طريق الإستغفار الصحيح وسلكه .

قوله: « أو آتكلت فيه عند خوفي منه على أناتك أو وثقت فيه بحلمك أو عولت فيه على كريم عفوك » .

الأناة: الحلم . . . . وحلم الله سبحانه وعفوه وستره على عبده في وقت كونه مستوجباً للنقمة والعذاب نعمة أخرى من نعمه العظيمة عليه . وهناك صنف كبير من الناس يذنبون ويخافون من سوء العاقبة لكن جرّأهم على ربهم حلمُ ربهم وعفوُه .

فآستخدام نعمة الله وهي حلمه وعفوه والإستفادة من هذه النعمة لمعصيته ومحاربته قلة حياء وجريمة فسبحان من إذا اعترف عبده له بذنبه ستر على ذنبه وغطاه بل قربه إليه وأدناه .

قوله: « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب خنت فيه أمانتي » لقد تحمل الإنسان الأمانة ولم يحملها نعم حملها المتقون من أولياء الله أمثال أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وسلمان المحمدي ومن النساء أمثال فاطمة الزهراء وزينب ابنة علي ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وزوجات رسول الله (ص) الطاهرات الزاكيات أمهات المؤمنين وغيرهن .

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا ﴾[1] ولكن نظراً لقلة من

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية: (٧٢) .

حمل هذه الأمانة من البشر لذلك لم تستثنهم الآية وهل يستثنى مقدار دلـو من بحر عميق . لذلك قلما تجد إنساناً في زماننا اليوم لم يخن أمانته تجاه ربه وتجاه نبيه وتجاه أهل بيت نبيه وتجاه مبادئه . لكن هنيئاً للمستغفرين .

قـوله : « ونجست بفعله نفسي » وهـل الذنـوب إلا نجاسـات تجعل في القلب ظلمة فعجباً لمن يفر من نجاسة البدن كيف لا يفر من نجاسة النفس .

قوله : « أو احتطبت به على بدني » فعل الذنب يدعو إلى فعل غيـره من الذنوب فكمـا أن الحبل يجمـع به الحـطب فيقال احتـطبت بالحبـل أو يقتطع الحطب بالمنجل فيقال احتطبت بالمنجل كذلك هناك من الذنوب ما يحتطب بها على الأبدان يعني تكون سبباً لنتاج غيرها من الذنوب فمثـلاً شرب الخمـر فهو ذنب واحد ولكنه يـدعو إلى الـزنا وإلى القتـل وإلى ترك الصـلاة وإلى العداوة والبغضاء وعشرات بل مئات الذنوب فشـرب الخمر ذنب يحتـطب به الإنسـان الذنوب .

قوله : « أو سعيت فيه لغيري » يعني سعيت لفعل بعض الذنـوب لا لِلَذّة أرجوها ولا لشهوة أنتظرها وإنما خدمة متواضعة لغيري إن كان ذا جاه أو مرتبـة مرموقة مثلاً ومن كانت فيه هذه الخصلة فهو من أخسر الناس لأنه « يبيع آخرته بدنيا غيره » .

قوله : « أو استغويت إليه من تبعني » يقال : استغواه بالأماني الكـاذبة ، أي طلب غيه وأضله والمعنى أنني يا رب لم أكتف باستخدام نعمك وفواضلك في معصيتك فقط وإنما استخدمتها في إغـواء الناس وإضـلالهم وإبعادهم عن طريقك المستقيم فقوله : « استغويت إليه » أي استغويت إلى الذنب من تبعني وجالسني وهذا هو شأن الكثير من طلاّب الدنيا فهو كي يتستر على فعله يجند له شركاء وأعوان يشاركونه في معصيته وضلاله .

قوله : « أو غلبت عليه بفضل حيلتي » أي استخدمت الحيلة والخديعة في إضلال الناس الذين قد لا يستجيبون لي فصرت أمنيهم بأماني كاذبة كما يفعل الشيطان تماماً . وأمثال هؤلاء في زماننا اليـوم لا يحصى عددهم ، فتـرى مثلاً

المدمن على تعاطي المخدرات حين يرى نفسه منبوذاً في المجتمع يتحايل على بعض أصدقائه المخدوعين به فيضع لهم المخدر في بعض الأشربة التي يقدمها لهم وهناك من أنواع المخدرات ما لو تعاطاها الإنسان مرة واحدة لا يستطيع تركها بل يواصل الإدمان عليها وهنا يصطاد المجرم فريسته في الماء العكر ، أو يمنيهم فيطلب من أصدقائه مجرد التجربة فقط ليتذوقوا طعم نشوتها المزعوم ومن ثم يكونون نسخة طبق الأصل منه . وعلى هذا المثال فقس ما سواه .

قوله: « أو أحَلْتُ عليك فيه » يقول الجوهري: أحْولت أنا بالمكان وأحَلْتُ فيه: أي أقمت حولاً . يقال: أحال الرجل بالمكان وأحول أي أقام به حولاً . أحول الصبي فهو محول: أي أتى عليه حول من مولده والمعنى أني يا رب أفعل الذنب وأستمر عليه ويحول الحول وأنا مقيم عليه دون حياء مني ولا خجل مع أني طيلة هذا الحول آكل من رزقك وأتقلب في نعمتك وأنت تسترني بسترك وتكلؤني بكلاءتك .

قوله: « مولاي فلم تغلبني على فعلي . . . . . إلى أخر الدعاء » بهذه العبارات العظيمة يزيح الإمام اللبس الذي قد يقع عند البعض حيث يقولون إذن لولا نعم الله وعافيته ورزقه لما عصيناه فالمعصية إذن من الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وماذا يريد هؤلاء ؟؟ يريدون أن يعمي الله الإنسان ويصمه ويجعله أبكماً حتى لا ينظر إلى الحرام ولا يسمع الحرام ولا يتكلم بالحرام وما ذنب من يستخدم العين والأذن واللسان في طاعة الله وأين إذن تقع مسألة الإبتلاء والإمتحان لمعرفة المؤمن من غيره ؟

وإذن لبطلت مسألة الثواب والعقاب وفي هذه المسألة بحث طويل ليس هنا موضعه .

فلنتدبر جميعاً هذا النموذج من الإستغفار ونفعله ولنبك عند قراءته وهذا لا يتأتّى إلا بالتفكر فيه وتطبيق عباراته على سلوكنا لنرى كيف أن هذا النموذج قد كشف أسرارنا فكيف بنا إذا قدمنا على من لا تخفى عليه خافية ولا تحجب عنه الأسرار ؟

لنجرب تطبيق هذا النموذج ولو لمدة شهر واحد على الأقل لنرى المفاجآت ولنعلم أن وعد الله حق . ولكن هنا ملاحظة مهمة من الضروري أن نلفت انتباه الأخوة إليها وهي : قد يجرب هذا النموذج من الإستغفار الحريصون على الدنيا وطلّاب المال فلا يجدون شيئاً من ذلك فيكذبون هذا القول ويكذبون ذلك القرآن مع أنهم لا بد أن يعلموا أنهم بسوء نيتهم قد ضلوا طريق الإستغفار فما كان هدفهم الحقيقي الإستغفار من الذنوب وطلب سترها ومحوها بل ابتعدوا عن لوازم الإستغفار الحقيقي ودعائمه وشروطه وآدابه المطلوبة وأصبح هدفهم المال . فمن استغفر ربه لهدف المال فإنه لا يجد المال لأن استغفاره منحرف عن جادة الحق ومن استغفر ربه ليطهر نفسه من الذنوب كثر ماله لأن استغفاره ملازم لجادة الصواب .

وربما تتغير ألفاظ بعض نماذج الإستغفار الصحيح غير أنها تبقى محتفظة باللباب وذات الفكرة فمن تلك النماذج ما روي أن أمير المؤمنين علي كان إذا رفع رأسه من آخر ركعة الوتر قال: « هذا مقام من حسناته نعمة منك وشكره ضعيف وذنبه عظيم ، وليس له إلا دفعك ورحمتك فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل (ص) كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون طال هجوعي وقل قيامي وهذا السحر وأنا أستغفرك لذنبي استغفار من لا يجد لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا » ثم يخر ساجداً .

وروى البخاري والترمذي والنسائي وإبن حنبل بألفاظ مختلفة: عن النبي (ص) أنه قال: « سيد الإستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما آستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فآغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[1] .

ففي النموذج الأول يقول الإمام « هذا مقام من حسناته نعمة منك وشكره

---

(١) مسند أحمد: ج٤ ص١٢٥ .

ضعيف وذنبه عظيم » وفي النموذج الثاني يقول الرسول (ص) « أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي » بمعنى أن النموذجين يحملان ذات الفكرة التي يحملها النموذج الأسبق .

﴿ فقلت آستغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾[1]

---

(١) سورة نوح ، الآيات : (١٠ ـ ١٢) .

الفصل الرابع

ويتألف من مبحثين :

أولًا : وقت الإستغفار

ثانيا : مكان الإستغفار

المبحث الأول

وقت الأستغفار

ليس للإستغفار وقت محدد ، بل هو واجب فوري عند حصول المعصية أو اقتراف الذنب ، وإنه لمن الضرورة بمكان أن يبادر الإنسان إلى الإستغفار ، في أي وقت ، إذ أن الله سبحانه بكرمه وجوده فتح لعباده أبواب مغفرته ، ولم يغلقها لحظة واحدة إذ هو على المقبلين عليه مقبل، وبالعطف عليهم عائد مفضل، بل وأكثر من ذلك.

فهو بالغافلين عن ذكره رحيم رؤوف ، وبجذبهم إلى بابه ودود عطوف وإنه لحري بالعاقل أن يغتنم فرصة عمره ، ويكون شحيحاً عليه ، فلا يجعل ساعةً تمر من عمره سدى ، وليلهج ما آستطاع بذكر الله سبحانه وليرطب فمه بالإستغفار .

كما ورد في الحديث الشريف: « رطبوا أفواهكم بإنا أنزلناه في ليلة القدر ، وبالإستغفار »[1] .

إن اغتنام الفرص والشح على لحظات العمر التي تمر مر السحاب ،

---

(١) البحاز: ج٩٠ ص٢٨٠ باب الإستغفار وفضله وأنواعه .

والمبادرة إلى تطهير النفس من كل شائبة ، لا يعرف كل ذلك إلا الذين سكن نـور الإيمان في قلوبهم ، وأنكشف لهم الغطاء ، ورأوا الآخـرة بقلوبهم قبل عيونهم .

قال الرسول (ص) في وصيته لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: « يا أبا ذر كن على عمرك أشح منك على درهمك وديناركَ »(١) .

كم يكون الإنسان شحيحاً على ماله فلا نراه يبعثر أمواله هنـا وهناك بـلا فائدة ، في الطرقات والأزقة والنوادي والمجـالس ، بل إذا فقـد محفظة نقـوده ربما تقوم قيامته ويحتضر مراراً على فراش الندامـة والحسرة . لكننـا في نفس الوقت نراه يضيع ساعات عمره في النوادي والجلسات البطالة واللهو وما شـابه ذلك .

وإذا ما أخذه النوم يوماً من الأيام وضاعت من عمره ساعات وساعات أو غلبت عليه الشهوة وتصرمت من عمره شهور وشهور لا نراه يعبأ بشيء من ذلك وكأن شيئاً لم يكن .

نعم ينبغي للعاقل أن يتحرى الأوقات المفضلة للإستغفار ، ويفرغ نفسه فيها لتذكر ذنوبه ، وتمثيلها نصب عينيه ، والإستغفار منها .

فإذا قال الكريم للناس: من جـاءني في حاجـة في أي وقت قضيتها لـه خاصة إذا جاءني يوم الجمعة . فإن العقلاء يرون بأن عرض الحاجات عليه في أي يوم وإن كان يعود على طالب الحاجة بالنتيجة الحسنة إلا أن عرضها عليه يوم الجمعة أولى وأنسب . ذلك لأن تخصيص الكريم لذلك اليوم سيؤثر على حجم العطاء ونوعيته .

هذا عندما لا يسمح له بعرض حاجته إلا في يوم واحد من أيام الأسبوع أياً كان ذلك اليوم . أما إذا كان له الحرية في أن يسـأل في كل الأيـام ، والكريم يحب ذلـك ويرضـاه ، فإن عـرض الحاجـات في كل الأيـام بما في ذلـك يوم

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٤٦٠ باب في وصية رسول الله (ص) لأبي ذر (رض) .

الجمعة يكون أولى بلا شك ، وكذلك الإستغفار ، فالإنسان الذي لا يجد فرصة لتفريغ نفسه من مشاغل الدنيا وهمومها إلا يوماً واحداً كل أسبوع ، أو ساعة واحدة كل يوم ، فليختر أفضل الأيام من الإسبوع وأفضل الساعات في اليوم .

وإن آستطاع أن يستغفر الله كل يوم وكل ساعة فليفعل فهو الأفضل ، وإليك بعض الأوقات المفضلة للإستغفار:

١ـ عند السحر:

ووقت السحر: أي آخر الليل ، ولعله الثلث الأخير منه ، فلقد تعاضدت النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة على تبيان عظمة هذا الوقت ، وعلى ضرورة الإستغفار فيه .

قال تعالى: ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد ، الذين يقولون ربنا إننا آمنا فآغفر لنا ذنوبنا وَقنا عذاب النار ، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** ﴾[٢] .

ومما يدل على عظمة هذا الوقت أيضاً: أن نجاة لوط ومن آمن به من النقمة الإلهية التي نزلت على قومه كانت في هذا الوقت .

قال تعالى: ﴿ **إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾[٣] .

فالآية الكريمة تعطينا درساً بليغاً . وكأنها تقول: إن نجاة آل لوط من عذابنا ونقمتنا كانت في وقت السحر وكذلك من أراد النجاة من عذابنا ونقمتنا

---

(١) سورة الذاريات الآيتين: (١٧ ـ ١٨) .
(٢) سورة آل عمران ، الآيات: (١٥ ـ ١٧) .
(٣) سورة القمر ، الآية: (٣٤) .

فليعرف لهذا الوقت قيمته ، وليستعرض ذنوبه ويجعلها نصب عينيه، ويكثر الإستغفار منها .

ولقد روي عن الإمام الباقر والإمام الصادق في تفسير هذه الأية :

﴿ **ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ أن المراد من عبارة ﴿ **ومن الليل** ﴾ وقت السحر ، والمراد من التسبيح في هذا الوقت صلاة الليل .

يقول آية الله الشهيد دستغيب: (إن الأذكار في السحر وصلاة الليل كانت في إبتداء البعثة النبوية واجبة على المسلمين لأهميتها ، ولكن فيما بعد ومن أجل التسهيل على المسلمين صارت من الموارد المستحبة ولكنها بقيت واجبة على رسول الله (ص) فقط ، وهذا ما أشارت إليه سورة المزمل) [1] .

وكان مما ناجى به الباري عز إسمه نبيه داوود: « عليك بالإستغفار في دلج الليل والأسحار .

يا داوود: إذا جنّ عليك الليل فانظر إلى ارتفاع النجوم في السماء وسبحني وأكثر من ذكري حتى أذكرك .

يا داوود: إن المتقين لا ينامون ليلهم إلا بصلواتهم إليّ ، ولا يقطعون نهارهم إلا بذكري يا داوود: إنه من يصلي بالليل والناس نيام يريد بذلك وجهي فإني آمر ملائكتي أن يستغفروا له ، وتشتاق إليه جنتي ويدعو له كل رطب ويابس »

وقال الرسول (ص): « إن العبد إذا تخلى بسيده في جوف اليل وناجاه أثبت الله النور في قلبه فإذا قال: يا رب! يا رب!

ناداه الجليل جل جلاله « لبيك عبدي ، سلني أعطك وتوكل علي أكفك » .

ثم يقول للملائكة « ملائكتي أنظروا عبدي ، فقد تخلى بي في جوف

---

(١) القيامة والقرآن ص١٦٧ .

الليـل المظلم ، والبـطالون لاهـون والغافلون نيـام ، إشهدوا أني قـد غفـرت له »[1] .

وقال أيضاً : « إن في جنة عدن خيل بُلق مسرجـة باليـاقوت والـزبرجـد ، ذوات أجنحة لا تروث ولا تبـول يركبهـا أولياء الله فتـطير بهم في الجنـة حيث شاؤوا .

فيناديهم أهل الجنة يا إخواننا ما أنصفتمونا

ثم يقولون : ربنا بماذا نال عبادك منك هذه الكرامة الجليلة دوننا ،

فينـاديهم ملك من بطنـان العرش : « إنهم كـانوا يقـومون بـالليـل وكنتم تنامون ، كانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا يتصدقون بمالهم لوجه الله تعـالى وأنتم تبخلون ، وكانوا يذكرون الله كثيراً ولا يفترون ، وكانوا يبكـون من خشية ربهم وهم مشفقون » .

وكان مما ناجي به الله سبحانه كليمه موسى بن عمـران : « يا بن عمـران كذب من زعم أنه يحبني فإذا جنه الليل نام عني

أليس كل محب يحب خلوة حبيبه ؟

ها أنذا يا بن عمران مطلع على أحبائي ،

إذا جنهم الليل حولت أبصارهم في قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم ، يخاطبونني عن المشاهده ويكلمونني عن الحضور .

يا بن عمران : هب لي من قلبك الخشوع ،
ومن بدنك الخضوع
ومن عينيك الدموع

ثم آدعني في ظلم الليل فإنك تجدني قريباً مجيباً» [2] .

---

(١) أمالي الصدوق : ص٢٣٠ .

(٢) البحار : ج١٣ ص٣٣٠ باب مناجاة موسى وما أوحي إليه من الحكم .

ولقد أوحى الله إلى بعض الصديقين من أوليائه فقال: « إن لي عباداً يحبونني وأحبهم ويشتاقون إلي فأشتاق إليهم ويذكرونني فأذكرهم فإذا أخذت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتّك » .

قال رب ما علامتهم ؟

قال: « يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الشفيق غنمه ، ويحنّون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها ،

فإذا جنّ الليل وآختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا اليّ أقدامهم وآفترشوا اليّ وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا لي بانعامي .

فبين صريخ وباك ، وبين متأوه وشاك ، وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي ، وبسمعي ما يسألون من حبي ،

أول ما أعطيهم ثلاثاً: الأول أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ، والثاني: لو كانت السماوات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم ،

والثالث: أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه » ؟ »[1] .

ولقد ورد في حديث شريف أن الله تعالى ينادي كل ليلة من أول الليل إلى آخره: « ألا عبد مؤمن يدعوني لدينه ودنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه ، ألا عبد مؤمن يتوب إليّ قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ألا عبد مؤمن قد قتّرت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده وأوسع عليه ، ألا عبد مؤمن سقيم يسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه »[2] .

---

(١) البحار: ج٦٧ ص٢٦ باب حبّ الله تعالى .

(٢) الفقيه: ج١ ص٢٧١ باب في وجوب الجمعة وفضلها ومن وضعت عنه . . .

وفي حديث آخر: « إن الله تعالى ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وليلة الجمعة من أول الليل

فينادي « هل من سائل فأعطيه ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ، يا طالب الخير أقبل ،يا طالب الشر أقصر

فلا يزال ينادي بذلك حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء »[1] .

٢ ـ ليالي الجمع :

ليلة الجمعة تعتبر سيدة اللیال ، إلا إذا وقعت في إحدى اللیال مناسبة ترتقي بدرجتها فوق درجة ليلة الجمعة . كما لو صادفت ليلة القدر ليلة الثلاثاء مثلاً . غير أن ليلة الجمعة هي أفضل ليالي الأسبوع في الأصل ولقد ورد عن الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار روايات كثيرة تحث على الدعاء والإستغفار وتلاوة القرآن ، فيها بل وإحيائها من أولها إلى آخرها بالدعاء والإستغفار والإبتهال .

قال الإمام أبو عبد الله الصادق : « من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً! وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء ومن قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً وأعطي في الآخرة من الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوجه الله مائة زوجة من الحور العين ، ومن قرأ سورة الواقعة في كل ليلة جمعة أحبه الله وأحبه إلى الناس أجمعين ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً ولا فقراً ولا فاقة ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء أمير المؤمنين »[2] .

---

(١) عيون الأخبار: ج١ ص١١٦ الباب ١١ ما جاء عن الرضا (ع) من الأخبار في التوحيد ح٢١ .

(٢) ثواب الأعمال وعقابها: ص١٣٦ و١٣٨ باب ثواب من قرأ سورة الكهف وثواب من قرأ الطوسين الثلاثة .

وقال أيضاً : « من قال في آخر سجدة من النافلة بعد المغرب ليلة الجمعة : « اللهم إني أسألك بوجهك الكريم وإسمك العظيم أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تغفر لي ذنبي العظيم » سبع مرات إنصرف وقد غفر له »[1] .

وقال الرسول (ص) : « أكثروا من الصلوات في الليلة الغراء ، واليوم الأزهر ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة . فسئل إلى كم الكثير قال : إلى مائة وما زاد فهو أفضل[2] .

وروي عنه (ص) قوله : « إن الصلاة على محمد وآله في ليلة الجمعة تعادل ألف حسنة ، وتمحي ألف سيئة ، وترفع ألف درجة »[3] .

ففي ما مضى من الأحاديث ما يكفي لبيان عظمة ليلة الجمعة وفضلها ، لذا ينبغي لنا أن نغتنم فرصتها بالإستغفار خاصة وقت السحر .

فإذا كانت الليلة « جمعة » ، وكان الوقت « سحراً » فلقد تآزر وقتان فاضلان .

من هنا نكتشف السر في قول نبي الله يعقوب لأولاده كما ذكر القرآن : **﴿ سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم ﴾**[4] .

حينما قالوا له : **﴿ يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ﴾**[5] .

فهل ساءلت نفسك لماذا قال « سوف » ؟ وإلى أي وقت أخر الإستغفار لأبنائه ؟

يقول الإمام الباقر : أخر يعقوب الإستغفار إلى سحر ليلة الجمعة .

---

(١) الوسائل : ج٥ ص٧٧ الباب ٤٦ من أبواب صلاة الجمعة وآدابها ح١ .
(٢) كنز العمال : ج١ ص٤٨٨ خ٢١٣٩ وص٤٩٤ خ٢١٨٠ .
(٣) مفاتيح الجنان : ص١١٦ باب في أعمال ليلة الجمعة .
(٤) سورة يوسف ، الآية : ٩٨ .
(٥) سورة يوسف ، الآية : ٩٧ .

نعم ليس من يعلم كمن لا يعلم . لقد اختار يعقوب النبي أفضل الأوقات وأثمنها ليطلب من الجليل حاجته وهي « أن يغفر لأولاده » .

وجاء في حديث شريف « ما في الحسنات حسنة أحب إلى الله تعالى من حسنة تعمل في ليلة جمعة أو يوم جمعة ، وما من الذنوب ذنب أبغض إلى الله تعالى من ذنب يعمل في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة » .

فهل عرفنا عملياً قيمة ليالي الجمع وأوقات السحر ؟

إن الشيء المحيّر هو أننا نرى الألوف المؤلفة إن لم نقل الملايين من المسلمين ممن يؤمنون بالله رباً وبمحمد (ص) نبياً وبالكعبة قبلةً ، وبالآخرة معاداً . نراهم قد أضاعوا هذه الليالي أمام السينمات الشيطانية ، والشهوات الحيوانية ، والسهرات الفارغة ، والمسلسلات الساقطة ، والمسرحيات الخليعة .

أصبحنا في زمان لا يكاد يخلو بيت فيه من تلفاز .

ولقد أصبح برنامج الكثير من شبابنا في ليالي الجمع أن يسهر كل واحد منهم أمام مسرحية ماجنة يتلقى من خلالها السموم وإن جاءت بلبوس الطرائف ، ويقلب ناظريه على تلك المومسات اللاتي بعن شرفهن وطهارتهن بحطام دنيا زائل فيزداد لهب شهوته وتمتد ألسنة ذلك اللهب ، ولربما أحرقت ما حولها ووقع هذا الشاب في الحرام والعياذ بالله ويبقى الشاب وتبقى الشابة أسيري مسرحية ساقطة صنعتها يد الإستعمار وإلى أن يمضي من الليل ثلثاه بل وقد يمضي أكثر من ذلك فلا يبقى من الليل إلا صبابة وهنا يتوجه الشاب وتتوجه الشابة كل إلى فراشه ليناما في أثمن وقت وهو « السحر » ويمتد نومهما إلى أن يقترب الزوال . غير عابثين بما فرض الله عليهما من صلاة الصبح وغيرها وما كأن الله سبحانه قد قال ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾[1] وما كأن الله سبحانه حرّم السهر بلا ضرورة إذا كان ذلك السهر يؤدي بالتأكيد إلى

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٣ .

فوات وقت الفريضة فكيف إذا كان السهر على اقتراف المحرمات ؟!! إننا نعصي الله سبحانه ولا نبالي ونضيع الواجبات ولا نندم ونتسب إلى الإسلام ولا نخجل ، ونبقى هكذا وأعظم من هكذا حتى تفاجئنا سهام المنية آخذة بأعناقنا إلى لحد مظلم ، وعندها ولات ساعة مندم .

٣ـ قبل النوم:

« كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون» هكذا قال إمامنا أمير المؤمنين .

وقال لقمان الحكيم لابنه « يا بني إن تك في شك من الموت فآدفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك وإن كنت في شك من البعث فآدفع عن نفسك الإنتباه ولن تستطيع ذلك ، فإنك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك »(١)

فالنوم هو الموت الأصغر فكما أن الإنسان يجب عليه أن يستغفر من ذنوبه قبل الموت وأن يعدّ القِرى(٢) ليومه النازل به وأن يخرج من الدنيا طاهراً من كل دنس خلياً من كل ذنب كذلك عند النوم لأنه يذكره بالموت الحقيقي .

ولعلنا لمسنا أهمية الإستغفار قبل النوم من كلام الإمام أمير المؤمنين لذلك الأعرابي حيث قال له إذا أويت إلى فراشك فقل: « اللهم إني أستغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك . . . . إلخ » وقد استعرضنا هذه القصة في الفصل السابق تحت عنوان « الإعتراف بعصيان الله سبحانه بنعمه » .

وكأنما الإمام يريد أن يقول للأعرابي « إياك أن يدركك الموت وأنت لم تستغفر من ذنوك ، فأنت عند النوم ستموت الموتة الصغرى فتهيأ لها بالإستغفار حتى يكون ذلك دافعاً لك للتهيؤ إلى الموتة الكبرى » .

---

(١) البحار: ج١٣ ص٤١٧ باب قصص لقمان وحكمه .
(٢) القِرى: ما يعد للضيف .

٤ـ عند صياح الديكة:

يعتبر الديك آية من آيات الله الواضحات ولقد عجبت لمن ينكر وجود خالقه وبارئه وهو يرى الديك وعجائب إبداعه فأنت تخطىء والديك لا يخطىء ، أنت تسهو وتغفل عن وقتك والديك لا يسهو ولا يغفل عن وقته . إنك لو وضعت إنساناً محصوراً في غرفة ظلماء لا يرى فيها شمساً ولا قمراً فإنه لا يعرف النهار من الليل ولا يميز أوقات الصلاة عن غيرها لكنك حينما تجعل الديك مكان هذا الإنسان فإنه بهدي الله سبحانه يهتدي إلى معرفة أوقات الصلاة ومعرفة النهار من الليل بل ومعرفة نصف الليل من ثلثه والفجر الكاذب من الصادق ولقد كان آباؤنا الأقدمون يهتدون بصوت الديك إلى معرفة الأوقات .

وهل بقي عن الفجر ساعة أو ساعتان أو أكثر كل ذلك يعرفونه بصوت الديك . أليس كذلك ؟ ؟ إن صياح الديك هو تسبيحه وصلاته ، وضربه بجناحيه ركوعه وسجوده .

كما دلت على ذلك الأحاديث الشريفة ، وإن فيه ـ أي في الديك ـ لعبرة لمن اعتبر ، ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾[1] .

لقد ورد في وصايا لقمان لابنه : « يا بني لا يكون الديك أكيس منك يقوم في وقت السحر ويستغفر وأنت نائم »[2] .

وروي عن رسول الله (ص): « إذا سمعتم صياح الديكة فآسألوا الله من فضله فإنها رأت مَلَكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً »[3] .

---

(١) سورة قٓ ، الآية: (٣٧) .
(٢) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٣٥١ الباب ٩٣ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه ح٤ .
(٣) كنز العمّال: ج١٢ ص٢٢٣ خ٣٥٢٧٢ .

فقوله : « إذا سمعتم صياح الديكة فآسألوا الله من فضله » دليل على أهمية هذا الوقت وفضيلة الإستغفار فيه .

وهل الإستغفار إلا سؤال الله من فضله ؟ كما أن الديك لا يصيح إلا في أوقات اختارها الله إليه ، ولو لم تكن فاضلة لما اختارها الله وقتاً لذكره .

جاء في الحديث الشريف « لا يصبح الديك الذي في الأرض حتى يصيح الديك الذي في السماء » .

٥- قبل طلوع الشمس وقبل الغروب:

لقد اهتم القرآن بهذين الوقتين اهتماماً ملحوظاً حتى جاء الأمر السماوي بضرورة ذكر الله وتسبيحه والإنابة إليه فيهما فقال تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وآصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم . . .** ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ **وآذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين** ﴾(٥) .

---

(١) سورة قٓ ، الآية : (٣٩) .
(٢) سورة طه ، الآية : (١٣٠) .
(٣) سورة الأنعام ، الآية : (٥٢) .
(٤) سورة الكهف ، الآية : (٢٨) .
(٥) سورة الأعراف ، الآية : (٢٠٥) .

وقال تعالى : ﴿ **ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾[2] .

إلى غير ذلك من الآيات .

والآصال: جمع أصُل ، وأصُل: جمع أصيل . فالآصال جمع الجمع ومعناه العشيات كما ذكر صاحب المجمع .

والأصيل: هو وقت اصفرار الشمس لمغربها ، والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس . وتجمع على (غدوات) وقال الليث: الغُدُوّ: جمع غداة مثل الغدوات .

والغدى جمع غدوة . والغدو: نقيض الرواح ، وقوله تعالى: ﴿ **بالغدو والآصال** ﴾ أي الغدوات فعبّر بالفعل عن وقت كما يقال: أتيتك طلوع الشمس أي في وقت طلوع الشمس .

فقوله: ﴿ **سبح بحمد ربك** ﴾ ﴿ **وأذكر ربك** ﴾ صريح في ضرورة الإستغفار في هذا الوقت .

وما الإستغفار إلا ذكر الله وتسبيح بحمده .

بل إن الإستغفار الحقيقي هو ذكر الله وتسبيحه .

فـ (ذكر) مأخوذ من مادة (ذَكَرَ) ومنه (تذكر) ومن تذكر فواضلٍ الله عليه وتذكر في نفس الوقت عصيانه لربه كان من اللازم عليه إن كان عاقلاً أن يبادر إلى الإستغفار ، بل إنّ تذكره لذنبه ، وتذكره لنعم الله عليه وتألمه الداخلي لما اقترفته يداه من الذنوب هو عين الإستغفار .

---

(١) سورة الرعد ، الآية: (١٥) .

(٢) سورة النور ، الآية: (٣٦ ـ ٣٧) .

ولقد أمر الرسول (ص) أبا ذر أن يهتم بهذين الوقتين وأن يتفرغ فيهما للتوبة والإستغفار والذكر فقال (ص): « يا أبا ذر إن حقوق الله جلّ ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين » .

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر قال: « مَن آستغفر الله بعد صلاة الفجر سبعين مرة غفر الله له » (١) .

ولا أدري لماذا أعرض أكثر الناس عن الذكر والإستغفار في هذين الوقتين مع ما ثبت من عظيم قدرهما .

هل يرضى هؤلاء أن يقال لهم إنهم أسراء أذلاء ، لا يملكون من الحياة حتى أنفسهم ؟ حيث أصبحت أزمة أمورهم بيد إبليس وجنده .

عن أبي جعفر قال: « إن إبليس عليه لعائن الله يبث جنود الليل من حيث تغيب الشمس وتطلع فأكثروا ذكر الله في هاتين الساعتين وتعوذوا بالله من شر إبليس وجنوده وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنهما ساعتا غفلة »(٢)

٦- أوقات الصلوات:

حيث أنها أفضل الساعات ، والإستغفار في حال الصلاة يعني الإستغفار حال أحب عبادة إلى الله ورسوله .

قال الرسول (ص): « . . . . . . وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنها أفضل الساعات ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه ويلبيهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه » (٣) .

---

(١) البحار: ج٨٣ ص١٣٤ باب التعقيب المختص بصلاة الفجر ح١٥ .
(٢) الفقيه: ج١ ص٣١٨ باب كراهية النوم بعد الغداة .
(٣) عيون الأخبار: ج١ ص٢٦٥ الباب ٢٨ ح٥٣ .

ولا شك أن الإستغفار داخل في الدعاء .

ثم يقول (ص): « أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ، ففكوها بآستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله تعالى ذكره أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين ، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين »(١) .

٧ـ في ركعة الوتر:

الوتر: الفرد أو ما لم يتشفع من العدد وقوله (ص): «إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن» أي إذا صليتم بالليل مثنى مثنى فآجعلوا آخر صلاتكم ركعة واحدة مفردة بتشهدها وسلامها .

وصلاة الليل إحدى عشر ركعة ثمان منها نافلة الليل ، وركعتا الشفع وركعة الوتر ، ويقول الإنسان في قنوتها (هذا مقام العائذ بك من النار) سبعاً ويستغفر لأربعين مؤمناً يذكرهم باسمائهم ، ويستغفر الله سبعين مرة ويقول (العفو . . . العفو . . . العفو . . . » ثلاثمائة مرة .

ولقد ورد عن أبي عبد الله أنه قال: « من قال في وتره إذا أوتر أستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة وهو قائم فواظب على ذلك حتى مضى له سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار ، ووجبت له المغفرة من الله عز وجل » .

والأخبار في هذه الجانب كثيرة يكفينا منها هذا الحديث للدلالة على أهمية الإستغفار في ركعة الوتر .

٨ـ عند الإفاضة من عرفات والمشعر الحرام:

إذا غربت الشمس من يوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام ، تزدلف الحجيج إلى ذلك المكان الذي تواضع لله فرفعه وهو المشعر الحرام ويبيت الحجاج ليلة العاشر هناك ، ويعقدون نية الوقوف بالمشعر من طلوع الفجر إلى

(١) عيون الأخبار: ج١ ص٢٦٦ الباب ٢٨ح٥٣ .

طلوع الشمس ، ثم يفيضون إلى منى .

فمن الضروري جداً اغتنام الفرصة والمبادرة إلى الإستغفار من الذنوب عند الإفاضة من المشعرين ، وقبل ذلك وبعده فالذي لا يستغفر ربه في هذا الوقت ، متى يحالفه التوفيق ليستغفر ربه إذن ؟

قال تعالى: ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فآذكروا الله عند المشعر الحرام وآذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وآستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾(1) .

٩ـ عند حدوث الآية:

ونعني بالآية: كسوف الشمس أو خسوف القمر أو الزلزلة بل وأيضاً الريح السوداء أو الحمراء أو الصفراء أو الظلمة الشديدة أو الصاعقة ، أو الصيحة ، أو الهدّة ، أو الخسف ، أو غير ذلك من الآيات المخوفة غالباً .

فحدوث الآية ربما كان إنذاراً لنزول العذاب أو لحدوث البلاء ، وحيث أن الله سبحانه عدل لا يجور فإن العذاب سيكون نتيجة الذنوب والمعاصي .

لذا يكون لزاماً على العقلاء أن يبادروا إلى الإستغفار والبكاء والتضرع إلى الله حتى يرفع الله عنهم العذاب والبلاء تماماً كما فعل قوم يونس لما رأوا الآية ، خرجوا من فورهم نادمين مستغفرين متضرعين ، فكشف الله عنهم العذاب وحوّله إلى الجبال المحيطة بهم فذابت تلك الجبال من شدة حرارة ذلك العذاب كما دلت على ذلك الروايات .

قال تعالى: ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** ﴾(2) .

ومن جانب آخر يحدثنا القرآن عن آل فرعون فلقد جاءتهم آيات بينات

---

(1) سورة البقرة ، الآيتين: (١٩٨، ١٩٩).

(2) سورة يونس ، الآية: (٩٨) .

تنذرهم بوقوع العذاب والنقمة عليهم إذا لم يعودوا إلى الله ويؤمنوا به ويستغفروه لكنهم لم يرعووا ، بل أصروا على ذنوبهم فكان عاقبة أمرهم أن أغرقهم الله في اليمّ ، وأصبحوا أحاديث كأن لم يكونوا من قبل .

وآنظر إلى الصورة الرائعة التي يصورها لنا القرآن بأسلوب يسحر الألباب ويهز المشاعر ويوقظ الضمائر ، دعونا نتمشى في رحاب القرآن لنرى ذلك جميعاً : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فآستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ، ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى آدع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل ، فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ، فآنتقمنا منهم فأغرقناهم في آليمّ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾(1) .

وهكذا اقتضت حكمة الرؤوف الرحيم أن لا يسلط العذاب والنقمة على الناس وهم غافلون ، بل لا بد من إنذارهم وابتلائهم ببعض البلايا البسيطة لتكون وسيلة إيقاظ وتنبيه لهم . ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون** ﴾(2) .

١٠ـ عند نزول الغيث:

وذلك لورود النص ففي الحديث : « تهبط الرحمة في أربعة مواضع حينما ينظر الابن إلى وجهي والديه نظر رأفة ورحمة ، وحينما يتم التزويج وحينما يفتح باب الكعبة وحينما ينزل المطر »

وهذاالحديث يشمل بعض الأوقات الأخرى المفضلة التي لا أرى داعيا لأن أفرد لها عناوين خاصة .

وفي حديث عن أمير المؤمنين: « إغتنموا الدعاء عند أربع عند قراءة

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات (١٣٣ ـ ١٣٦) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١٣١) .

القرآن ، وعند الأذان وعند نزول الغيث وعند التقاء الصفين للشهادة »[1] .

ولا ريب أن الإستغفار (دعاء) لأنه طلب المغفرة والستر .

وعنه أيضاً: « تفتح أبواب السماء في خمسة مواقيت: عند نزول الغيث ، وعند الزحف ، وعند الأذان ، وعند قراءة القرآن ، ومع زوال الشمس وعند طلوع الفجر »[2] .

١١ـ ليالي وأيام رمضان المبارك:

لا كلام في أن شهر رمضان المبارك هو أفضل الأيام ولياليه أفضل الليال وساعاته أفضل الساعات ، كما لا شك في أنه شهر المغفرة وشهر الإنابة وأن الناس مدعوون فيه إلى ضيافة الله .

أنفاسهم فيه تسبيح ونومهم فيه عبادة وعملهم فيه مقبول ودعاؤهم فيه مستجاب ، وأن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وأن الشقي من حرم غفران الله فيه .

فإذا تقرر ذلك يكون شهر رمضان هو أثمن فرصة وفّرها الرؤوف الرحيم لمن أراد أن يذكّر من عباده أو أراد شكوراً .

وإن أنفسنا المقيدة بالذنوب والمعاصي لا سبيل لخلاصها إلا بالإستغفار لذا قال رسول الله (ص) في سياق خطبته التي أشار فيها إلى شهر رمضان وما يجب على الناس فيه : « أيها الناس.إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم »[3] .

فهل يعي أبناؤنا وشبابنا ونساؤنا قيمة تلك الليالي والأيام التي تفتح فيها

---

(١) البحار: ج٩٠ ص٣٤٣ باب الأوقات والحالات التي يرجى فيها الإجابة وعلامات الإجابة ح١ .

(٢) البحار: ج٩٠ ص٣٤٤ باب الأوقات والحالات التي يرجى فيها الإجابة وعلامات الإجابة ح٤ .

(٣) عيون الأخبار: ج١ ص٢٦٦ باب ٢٨ ح٥٣ .

أبواب السماء بالرحمة والمغفرة ، أم يضيعونها في السهرات الفارغة ومشاهدة الأفلام والمسلسلات المحرمة بحجة الترفيه عن النفس ، كأنما يمنون على الله صومهم .

فهم يطيعونه نهاراً ويعصونه ليلاً ناسين أو متناسين أن فعل المعصية في شهر رمضان يكون أشد حرمة من فعلها في غيره من الشهور ، كما أن الطاعة فيه أفضل من الطاعة في غيره من الشهور .

فأين شبابنا ؟ وأين شاباتنا ؟ الذين نصب الإستغفار شراكه لهم ليصطادهم في الماء العكر . حتى رأينا أكثرهم لا قدرة له على ترك متابعة حلقة واحدة من حلقات مسلسل فيه ما فيه من الفساد فترى المصلي الصائم يتابع ذلك وبإصرار وعلم بحرمة ما يفعله غالباً تاركاً وراء ظهره كتاب الله المحكم وكأنه لم يقرأ فيه: **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾**(1) .

وتراه يبرر ذلك ليجد له منفذاً شرعياً فتارة يقول: أنا أنظر بدون ريبة وبدون شهوة ، وتارة يقول: أنا أنظر بهدف معرفة القصة فقط إلى غير ذلك من الأعذار .

مع أنه على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، ولقد علم خواء تبريره وهزال عذره ، حتى صار من الحكمة بمكان الإعراض عن هذه السفاسف وعن التعرض لها برد إذ هي دون مرتبة الرد .

والأعجب من ذلك أنه يجيز ذلك لنفسه ولا يجيزه لغيره . فلو قلت له هل تسمح لابنتك وزوجتك أن تخرجا إلى المسرح وتلبسا ثياباً رقيقة وتضعا الماكياج وتظهرا في كل تلفاز لتراهما كل عين .

أكنت ترضى ذلك وإن لم يكن بشهوة أو ريبة أو كان بهدف القصة كما زعمت ؟

---

(1) سورة النور ، الآية: (٣٠) .

فإنك حينئذ ربما تعرضت لسبابه وشتمه قبل سماعك رفضه ، بل ولربما اتهمك بانتقاص عرضه ، هذا إذا لم يتناول ما أمامه ليصفعك به!! وهكذا ثبّت الإستغفار ثقافته في صدور المسلمين الصائمين المصلين وأصبحت أفكاره وسمومه زاداً لا يستغنى عنه كل يوم . إن لم أقل كل ساعة ، ومن هنا وبعد كل ذلك عليك أن تجعل ضميرك حاكماً ولما أنت عازم على فعله شاهداً .

الإستغفار قبل الموت:

هل سمعت بإيمان فرعون ؟ وهل أنجاه إيمانه من الغرق ؟

أم هل أنقذه ذلك الإيمان من لهب النيران ؟

لو تأملنا كتاب الله المحكم لرأينا أن إيمان فرعون يعتبر وزراً آخر فوق وزره ، حيث جاءه الرد الصارم: **﴿ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية . . . . ﴾**[1] .

ودلت الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة ، أن فرعون لما قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ، تناول جبرئيل حفنة من الطين وألقاها في فمه بأمر الله سبحانه .

كل ذلك لأن الإيمان بعد رؤية علامات الموت لا قيمة له قال تعالى: **﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾**[2] .

فكما أن الإيمان لا ينفع بعد رؤية علامات الموت فكذلك الإستغفار من الذنوب قال تعالى: **﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب آرجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها . . . ﴾**[3] .

---

(١) سورة يونس ، الآيتين: (٩١ - ٩٢) .
(٢) سورة غافر ، الآيتين: (٨٤ - ٨٥) .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية: (٩٩) .

هذا من جانب ومن جانب آخر لا يعرف الإنسان متى يوافيه الحمام .

« فإن أجله مستور عنه وأمله خادع لـه » إذ ربما يبيت فـلا يصبح وربمـا يصبح فلا يمسي . « فكم من مستقبل يومـاً لا يستكمله ومنتظر غـداً لا يبلغه » فبإدراك هذين الأمرين وهما :

أ) الإستغفار من الذنوب لا ينفع بعد رؤية علامات الموت .

ب) كل لحظة تمر من عمر الإنسان مرشحة لأن تكون نهايته فيها .

فبإدراكهما بعين البصيرة تكون كل لحظة من لحظات عمر الإنسـان وقتاً لـلإستغفار ووقتـاً لمحاسبـة النفس والتكفيـر عن الخـطايـا قـال تعـالى : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[1] .

وبالتالي تكون هذه النقطة شاملة لكل النقاط المـذكورة وغيـر المذكـورة والتي لا يسع المجال لأن نتقصاها إذ ليس الهدف حصرها .

كالإستغفار حال الصوم والتعقيب وما بين الأذانين وما بين نزول الإمام من المنبـر يوم الجمعـة إلى أن تقام الصـلاة ، وعند الـرقـة والـدمعـة ، والغـربـة والإضطرار ، وهبوب الـرياح وآلتقـاء الصفين ، وعند سقـوط أول قطرة من دم الشهيد إلى غير ذلك من الأوقات التي يتأكد فيها الاستغفار .

---

(١) سورة هود ، الآية : (١١٤) .

المبحث الثاني

مكان الإستغفار

كما أن الإستغفار مطلوب في كل وقت ، فكذلك مطلوب في كل مكان ، وعلى كل حال ، غير أن هناك أماكن يكون الإستغفار فيها أقرب إلى تحقيق نتائجه ، وإعطاء ثماره نظراً لكون القلب أقرب إلى الصفاء فيها من غيرها ، ومن تلك الأماكن على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ الخلوات:

لو نظرنا إلى سيرة المصطفىٰ (ص) وسيرة أهل بيته الطاهرين لرأينا أن اهتمامهم بالإستغفار والتنفل والذكر في الخلوات أمر لا يختلف فيه اثنان .

فلقد كان الرسول (ص) يذهب إلى غار حراء طوال شهر رمضان من كل سنة ويقيم فيه مكتفياً بالقليل من الزاد ، ممعنا في التأمل والعبادة بعيداً عن صخب الناس وضجيج الحياة ، فإذا انقضى شهر رمضان عاد إلى خديجة وبه من أثر التفكير ما يشككها في عافيته وسلامة بدنه ، وكذلك كانت سيرة أمير المؤمنين ، فلقد كان يذهب إلى حديقة بني النجار ، ويخلو بربه قائماً قاعداً وراكعاً ساجداً ، يقلب طرفه في السماء متأملاً عظمة الكون ، متفكراً في خلق السماوات والأرض مردداً: ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب**

النار ﴾ [1] .

تفيض من عينيه الدموع ، وتقشعر منه الجوارح .

يقول أبو الدرداء : « شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات[2] النجار ، وقد آعتزل عن مواليه ، وآختفى ممن يليه واستتر بمغيلات[3] النخل ، فآفتقدته وبَعُدَ عن مكانه .

فقلت لحق بمنزله ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي

وهو يقول : « إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ،

إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك » .

فشغلني الصوت وآقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب بعينه فآستترت له وأخملت الحركة فركع ركعات في جوف الليل الغابر ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى به الله :

« إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي . . .

آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول خذوه ، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء . . . ثم قال . . .

آه من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من غمرة من ملهبات لظى »

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (١٩١) .

(٢) بشويحطات : أي بالأشجار .

(٣) أغالت الأشجار : أي عظمت وألتفت واتسع ظلها فهي مُغيل .

ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة .

فقلت غلب عليه النوم لطول السهر . . . . . . أوقظه لصلاة الفجر .

فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة . حركته فلم يتحرك ، وزويته فلم ينزو

فقلت : « إنا لله وإنا إليه راجعون » مات والله علي بن أبي طالب .

فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم

فقالت فاطمة الزهراء : يا أبا الدرداء ما كان من شأنه وقصته ؟

فأخبرتها الخبر

فقالت : هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله .

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إلي وأنا أبكي

فقال : مم بكاؤك ؟

فقلت : مما أراه تنزله بنفسك

فقال : يا أبا الدرداء فكيف رأيتني وقد دُعي بي إلى الحساب

وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار ، قد أسلمني الأحياء ورحمني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية » .

نعم . . . . هكذا كان أخو المصطفى وآبن عمه وزوج بضعته ، يذوب في عبادة الله في الخلوات . . . وهكذا كانت سيرة الأئمة المعصومين من بعده .

ولقد سار على نهج أهل البيت الكثير من العلماء والفضلاء حتى لقد كان بعضهم يحفر في بيته قبراً في أحد أطرافه ويشق في وسط القبر لحداً وكان يذهب إليه كل ليلة إذا نامت العيون . وهدأت الأصوات ويتمدد في ذلك اللحد ويقول باكياً مضطرباً .

﴿ رب إرجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾[1]

ثم يجيب نفسه « كلا . . كلا . . . ويزداد بكاؤه . . . » وهكذا يبقى حتى يقترب الفجر ثم يقول كالمخاطب نفسه: « الآن أرجعناك فأنظر ماذا أنت صانع » .

ولا شك أن الإعتزال عن الناس والخلوة بالله لمدة ساعة واحدة في اليوم والليلة على الأقل أمر راجح من حيث أن العزلة تعطي الإنسان القدرة على التفكير في النفس والكون والأمم الماضية وإعادة النظر فيما أعده ليوم النشور .

جاء في الحديث الشريف: « لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكر ودليل التكفر الصمت »[2] .

كما أن العزلة تجعل القلب منتبهاً ليعيد النظر في قيادة جوارح الإنسان إلى الصراط السوي .

جاء في الحديث القدسي: « يا عيسى ذلّل لي قلبك ، وأكثر ذكري في الخلوات » .

٢ـ عند الحطيم:

الحطيم: ما بين الحجر الأسعد وباب الكعبة ، وسمي الحطيم حطيماً لأن الذنوب العظام تتحطم فيه بالاستغفار كما أشارت إلى ذلك الأحاديث الشريفة .

ولقد ورد في فضله أن الحسن بن الجهم قال :

« سألت أبا الحسن الرضا عن أفضل موضع في المسجد يُصلى فيه .

قال: الحطيم ما بين الحجر وباب البيت ، قلت : والذي يلي ذلك في

(١) سورة المؤمنون ، الآيتين (٩٩ ـ ١٠٠).

(٢) الكافي: ج١ ص١٦ كتاب العقل والجهل .

الفضل ؟

فذكر أنه عند مقام إبراهيم

قلت ثم الذي يليه في الفضل ؟

قال: في الحِجْر

قلت: ثم الذي يلي ذلك ؟

قال: كل ما دنا من البيت »[1] .

وعن أبي بلال المكي

قال: « رأيت أبا عبد الله طاف بالبيت ثم صلى فيما بين الباب والحجر الأسود ركعتين فقلت له ما رأيت أحداً منكم صلى في هذا الموضع .

فقال: هذا المكان الذي تيب على آدم فيه »[2] .

وتجدر الإشار إلى أن هناك أحاديث تدل على أفضلية مقام إبراهيم على الحطيم . . . غير أن الهدف من ذكر الحديث السابق هو تبيان فضل الحطيم في الجملة . كما أنه ربما يمكن الجمع بين الحديثين من وجه .

٣ـ عند الملتزم:

المسجد الحرام له فضل خاص وميزة تجعله مهيئاً روحياً للاعتكاف والعبادة والإستغفار .

فلقد ورد في الحديث الشريف: « إن الصلاة في البيت الحرام تعادل مائة ألف صلاة في غيره من الأماكن » .

غير أن في البيت الحرام نفسه أماكن يزيد فضلها عن الأماكن الأخرى .

ومن تلك الأماكن (الملتزم) بضم الميم وسكون اللام وفتح التاء والزاء

---

(١) الوسائل: ج٣ ص٥٣٨ الباب ٥٣ من أبواب أحكام المساجد ح٣ .

(٢) الوسائل: ج٣ ص٥٣٨ الباب ٥٣ من أبواب أحكام المساجد ح٣ .

وهو المسمى بالمستجار وسمي بالملتزم لأن الناس يلتزمونه ويعتنقونه بصدورهم وأيديهم .

وحول ارتباط هذا المكان بالإستغفار ، ورد في الروايات: أن رسول الله (ص) كان يلصق بطنه وصدره ووجهه بالملتزم في الشوط السابع من طوافه ويكثر من الإستغفار هناك .

وورد أيضاً:

« أنه لما طاف آدم (عليه السلام) بالبيت وأنتهى إلى الملتزم

قال جبرئيل: يا آدم أقر لربك بذنوبك في هذا المكان فوقف آدم

فقال يا رب إن لكل عامل أجراً وقد عملت فما أجري ؟

فأوحى الله إليه« يا آدم من جاء من ولدك إلى هذا المكان وأقر بذنوبه وتاب كما تبت ثم استغفر غفرت له » .

فالحطيم والملتزم شأنهما عظيم عند الله من عدة وجوه فهما عظيمان في نفسيهما لكونهما في المسجد الحرام وعظيمان لكون المسجد الحرام في مكة المكرمة وفضل مكة غني عن الإيضاح حيث أن فضلها لا يحجبه حجاب .

٤ـ عرفات:

إن للزمان ارتباطاً وثيقاً بالمكان في كثير من الأمور العبادية ومن تلك الأمور مسألة الإستغفار في عرفات .

فالإستغفار في عرفات في سائر الليالي والأيام يختلف عنه في يوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام خاصة حال وقوف الحاج .

فما أعظم ذلك اليوم وما أعظم ذلك المكان . فمن ذا الذي استغفر ربه من ذنوبه هناك صادقاً في استغفاره فلم تغفر له ذنوبه ؟

إن كرم المولى عز شأنه على عباده لا يدركه الأكثرون من الناس .

إن الأخبار الصادقة عن الرسول (ص) وأهل بيته لتكشف هذه الحقيقة

وهي أن من استغفر ربه في عرفات محققاً شروط الإستغفار ، ثم ظن أن الله لم يغفر له ذنوبه فقد أساء ظنه بربه بل وبظنه هذا يكون قد ارتكب وزراً عظيماً .

فلقد سأل رجل الإمام الصادق قائلاً : « من أعظم الناس وزراً ؟

فقال : من وقف بهذين الموقفين عرفة ومزدلفة وسعى بين هذين الجبلين ثم طاف بهذا البيت وصلى خلف مقام إبراهيم ثم قال في نفسه ، أو ظن أن الله لم يغفر له فهو من أعظم الناس وزراً » .

ثم هل الإستغفار إلا طلب الستر من المولى عز شأنه ومحو الذنوب والخطايا ؟

وهل الطلب إلا سؤال ؟ وهل عاقل يسأل أحداً غير الله في ذلك اليوم ؟

جاء في الروايات أن الإمام علي بن الحسين سمع يوم عرفة سائلاً يسأل الناس

فقال له : « ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم ؟

إنه ليرجى لما في بطون الحبالى في هذا اليوم أن يكون سعيداً »[1]

ثم إن من أشرق شعاع البصيرة في قلبه لا يسأل الله شيئاً زائلاً ويمسك كالذين يسألون الله وقتذاك كثرة المال وطول العمر والنجاح والشفاء وما شابه ذلك ولا يسألون الله شيئاً من الأمور كالجواز على الصراط وتخفيف الحساب والجنة وكذلك ما يرتبط بعالم البرزخ من دفع ضيق القبر ووحشته وعذابه وذله إلى غير ذلك .

قيل لعلي بن الحسين : « لو ركبت إلى الوليد بن عبد الملك وكان بمكة والوليد بها لقضى لك بعض حاجتك . فقال : ويحك أفي حرم الله أسأل غير الله عز وجل إني لآنف أن أسأل الدنيا خالقها فكيف أسألها مخلوقاً مثلي »[2] .

---

(١) الوسائل : ج١٠ ص٢٨ الباب ٢١ من أبواب إحرام الحج والوقوف بعرفة ح١ .

(٢) الوسائل : ج١٠ ص٢٩ الباب ٢١ من أبواب إحرام الحج والوقوف بعرفة ح٣ .

نعم إنه زين العابدين وسيد الساجدين الذي يأنف أن يسأل الله الدنيا في ذلك اليوم . إذ ما قيمة الدنيا عند الإمام ؟ إنها لا تساوي عنده عفطة عنز .

نعم يجدر بالعاقل أن يغتنم الفرصة ويسأل الله المغفرة والخروج من الذنوب وتبعات الناس فإنه بين يدي رحيم كريم فما أثمنه من يوم وما أعظمه من موقف!

جاء في حديث شريف: « إن من الذنوب ما لا يكفره إلا الوقوف بعرفة » .

وفي حديث آخر: « إن الحاج إذا دخل مكة وكّل الله به ملكين يحفظان عليه طوافه وصلواته وسعيه فإذا وقف بعرفة ضربا منكبه الأيمن ثم قالا: أما ما مضى فقد كُفيته فأنظر كيف تكون فيما تستقبل »[١] .

من هنا ينبغي الحرص على شد الرحال إلى بيت الله الحرام وإلى تلك المشاعر المقدسة في كل عام كلما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً .

يقول أمير المؤمنين في وصيته لولديه الحسن والحسين: « الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تُناظروا »[٢] .

وإن تعجبْ فعجبٌ فعلُ الكثير من الناس حيث عزفوا عن الحج عزوفاً فلم يؤدوا حتى الفريضة التي كتبها الله عليهم متذرعين بأعذارٍ هي أوهن من بيت العنكبوت ﴿ **وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت** ﴾[٣] .

فالبعض يسوفه ظاناً أن الحج واجب موسَّع بَيْدَ أنه واجب فوري يجب في سنة الإستطاعة . وإذا أخّره الإنسان مع قدرته عليه ثم انعدمت الإستطاعة استقر في ذمته .

فتسويف الحج بلا مبرر شرعي في الأصل حرام شرعاً بل ذكر الفقهاء أنه

---

(١) الوسائل: ج٨ ص٧٢ الباب ٣٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه ح٣٢ .
(٢) تحف العقول: ص١٤٠ باب في وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٤١ .

من الكبائر يقول المحقق الحلي في الشرائع إن تأخير الحج عن عام الإستطاعة ذنب كبير مهلك .

والآن . . . . لنكشف الغطاء قليلاً عن واقع الأمر لنرى حقيقة هؤلاء المسوفين والتاركين للحج . نعم إننا لو تدبرنا الأمر لرأينا أن سبب تسويفهم للحج وعزوفهم عنه هو الذنوب وما أدراك ما الذنوب ؟

إنها تهتك العصم ، وتسلب التوفيق ، وتحجب عن الطاعة .

ولكي تستوعب عزيزي القارىء ما أقول تدبر هذه القصة القصيرة .

روى سماعة عن الإمام الصادق « قال: ما لَك لا تحج في العام ؟

فقلت: معاملة كانت بيني وبين قوم ، واشتغال وعسى أن يكون ذلك خيرة .

فقال الإمام: لا والله ما فعل الله لك في ذلك من خيرة!!

ثم قال: ما حبس عبد عن هذا البيت إلا بذنب وما يعفو أكثر » .[1]

٥ـ المشعر الحرام ومنى:

ومن الأماكن التي أعلى الله شأنها وجعل الإستغفار فيها حِطّةً للذنوب (المشعر الحرام) و (منى) .

فقد نطق القرآن بأهمية الإستغفار في هاتين البقعتين وأكد عليه أيضاً قال تعالى : ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فآذكروا الله عند المشعر الحرام وآذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وآستغفروا الله إن الله غفور رحيم . فإذا قضيتم مناسككم فآذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً . .** ﴾[2] الآية .

فقد ركزت هذه الآيات تركيزاً كبيراً على أهمية الذكر والإستغفار عند

---

(١) الكافي : ج٤ ص٢٧٠ باب أنّه ليس في ترك الحج خيرة وإن حبس عنه فبذنب .
(٢) سورة البقرة ، الآيات: (١٩٨ ـ ٢٠٠) .

المشعر الحرام وعند الإفاضة منه وفي منى .

وتجدر الإشارة إلى أن من البقاع الفاضلة في منى مسجد الخيف وأفضل أماكنه مصلى رسول الله (ص) وهو من المنارة إلى ما يقارب ثلاثين ذراعاً من جهة القبلة وعن يمينها ويسارها وخلفها .

ولا شك في أن الزمان مرتبط هنا بالمكان . وبالتالي ينبغي للحاج أن لا ينشغل بسفاسف الأمور وتوافه الدنيا ، والركض خلف سبل الراحة عن ذكر الله ، وتمثيل ذنوبه بين يديه والإستغفار منها .

وليعلم بأنه في أفضل المشاعر العظام التي ورد في شأنها من الفضل الشيء الكثير .

فقد ورد في شأن المشعر الحرام عن الحلبي عن الإمام الصادق أنه قال: « ...... ولا تجاوز الحياض ليلة المزدلفة .... إلى أن قال ... وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة فآفعل فإنه بلغنا أن أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين . لهم دوي كدوي النحل يقول الله جل ثناؤه: أنا ربكم وأنتم عبادي أديتم حقي وحق عليّ أن أستجيب لكم فيحط تلك الليلة عمن أراد أن يحط عنه ذنوبه، ويغفر لمن أراد أن يغفر له »[1] .

وفيما يتعلق (بمنى) ما جاء في الحديث الشريف: « إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى مناد من قبل الله تعالى: « إذا أردتم أن أرضى فقد رضيت »[2] .

وفي حديث آخر: « إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى مناد: لو تعلمون بفناء من حللتم لاستيقنتم بالمغفرة »[3] .

ولا يخفى علينا أن المشعر الحرام ومنى داخلان في الحرم وعرفات

---

(١) الوسائل: ج١٠ ص٤٤، الباب ١٠ من أبواب الوقوف بالشعر، ح١ .
(٢) الوسائل: ج٨، ص٦٨، الباب ٣٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه، ح١٣ .
(٣) الوسائل: ج٨، ص٦٥، الباب ١٨ من أبواب وجوب الحج وشرائطه، ح٤ .

خارجة عنه لذلك فإن لكل منهما ميزة تميزه عن عرفات وإن كانت عرفات عظيمة الشأن جليلة القدر .

٦ـ عند اسطوانة أبي لبابة:

أبو لبابة هو (بشير بن عبد المنذر) الذي تخلف عن جيش المسلمين في غزوة تبوك ، وهي الغزوة التي سار فيها النبي (ص) بنفسه وخلّف ابن عمه علياً أميراً على المدينة وقال فيه قوله المشهور: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » كما ذكر ذلك الإمام البخاري في صحيحه في الجزء السادس تحت عنوان باب غزوة تبوك . فندم أبو لبابة على تخلفه وربط نفسه في إحدى سواري المسجد النبوي وحلف يميناً أن لا يأكل ولا يشرب حتى يقبل الله توبته أو يدركه الموت وبقي هكذا حتى كان يغشى عليه أحياناً من الجوع والعطش ، فأنـزل الله على رسوله: ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ، أن الله غفور رحيم** ﴾[1] .

فجاء الرسول (ص) وحلّه من تلك الإسطوانة المسماة باسمه .

ولقد روي أن سبب نزولها فيه ما جرى منه في بني قريضة حين

قال: إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ فهو الذبح فندم من وقته .

وقال والله ما خطوت خطوة بعد تلك الكلمة حتى علمت أني خنت الله ورسوله

فجاء وربط نفسه في اسطوانة المسجد . . . . إلخ (القصة) .

وهذه الإسطوانة تقع بجوار قبر الرسول (ص) في الروضة الشريفة ، ونظراً لأن الله سبحانه قبل توبة واستغفار أبي لبابة في ذلك المكان لذا ينبغي الإستغفار في المكان المذكور إذا توفرت سبل الوصول إليه مع لحاظ أنه في قلب الروضة ، وفضل الروضة الشريفة بلغ من الشهرة مكاناً أغنانا عن إيضاح ذلك .

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١٠٢).

غير أنه لا بأس أن نشير إلى فضلها بحديث شريف تيمناً وتبركاً .

فعن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله قال : قال رسول الله (ص) : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنة ، وقوائم منبري رتب في الجنة ،

قال : قلت : هي روضة اليوم ؟

قال : نعم ، إنه لو كشف الغطاء لرأيتم ! »[1] .

فالإستغفار عند الإسطوانة المذكورة راجح من عدة وجوه ، كونها موقعاً نزلت فيه الرحمة على أبي لبابة ، وكونها في الروضة الشريفة ، وكونها في المسجد النبوي الشريف ، وكون المسجد الشريف في المدينة المنورة ، تلك المدينة التي دلت الأحاديث على أنها موضع مبارك ، وغبارها شفاء ، والدعاء فيها مستجاب ،وكون البقاء فيها مستحب في نفسه ففي الحديث الشريف عن الرسول (ص) : « من صبر على أوار المدينة وحرّها كنت له يوم القيامة شفيعاً شهيداً »[2] .

وفي حديث آخر عنه (ص) « من مات بها ـ أي بالمدينة ـ كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة »[3] .

إلى غير ذلك من الروايات .

٧ـ الأسواق :

لا شك أن شر بقاع الأرض الأسواق وخير بقاعهاالمساجد كما ورد ذلك في حديث شريف ، غير أن الإستغفار في الأسواق له جانب أهمية في الشريعة الإسلامية ، من حيث كونه ذكراً في موضع الغفلة ، والسوق موضع غفلة ونسيان

---

(١) الوسائل : ج١٠ ، ص٢٧٠ ، الباب ٧ من أبواب المزار وما يناسبه ح٢ .
(٢) معجم البلدان .
(٣) كنز العمّال : ج١٢ ، ص٢٥٤ ، خ٣٤٩١٦ .

الآخرة ، وحيث أن الإنسان لا غنى له عن السوق حيث لا بد أن يذهب إليه ولو أحياناً لشراء مستلزماته ، لذا عليه أن لا ينسى الإستغفار فيه بل مطلق الذكر قال رسول الله (ص) : « من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب الله له ألف حسنة ويغفر له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر »(١) .

فيا حبذا لو جعل وقته الذي يستغرقه في السوق مشغولاً بالإستغفار من أوله إلى آخره .

٨- مواضع نزول النصر :

كذلك يتأكد الإستغفار في البقاع التي كانت موضع نزول رحمة الله على عباده وحلول نصره فيها على أوليائه ومن تلك البقاع على سبيل المثال لا الحصر : (بدر) وهو مكان بين مكة والمدينة وفي ذلك المكان دارت معركة بين المسلمين والمشركين ، حيث أنزل الله فيها النصر على عباده المؤمنين .

وكمسجد الإجابة ويقع في المدينة المنورة حيث نزل النصر في تلك البقعة على رسول الله (ص) وأهل بيته حينما باهل النبي نصارى نجران ولم يخرج لمباهلتهم إلا بأصحاب الكساء كما قال تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين** ﴾(٢) .

فلما رأى أسقف النصارى رسول الله (ص) قد جثا على ركبتيه تراجع عن المباهلة ، فقيل له يا أبا حارثة أدن للمباهلة . فقال : لا ، إني لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً . ولئن كان صادقاً لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء .

وروي أن الأسقف قال : إني لأرى وجوهاً لو سألت الله أن يزيل جبلاً من

---

(١) الوسائل : ج٤ ، ص١١٩٠ ، الباب ١٣ من أبواب الذكر ، ح١ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : (٦١) .

مكـانه لأزالـه . ثم قال: يـا أبا القـاسم ، إنـا لا نبـاهلك ، ولكن نصـالحـك فصالحنا! . فصالحهم الرسول (ص) على ألفي حلة من حلل الأواقي قسمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلـك ، وعلى عاريـة ثلاثين درعـاً وثلاثين رمحـاً وثلاثين فـرساً ، إن كـان باليمن كيـد . ورسول الله (ص) ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً .

قال (ص): « والذي نفسي بيده لو لاعنوني ـ أي باهلوني ـ لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ، ولما حـال الحول على النصـارى حتى يهلكوا كلهم » (١) .

وهكذا أيد الله سبحانه نبيه (ص) بنصره ، فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي (ص) وأسلما .

ومن مواضع نزول النصر مسجد الفتح في المـدينة المنـورة حيث يسمى بمسجـد الأحزاب أيضـاً ويقع فـوق الجبل وسمي بـالفتح لأن الله تعـالى فتـح للمسلمين على يـد أميـر المؤمنين بقتله عمـرو بن ود العـامـري . ولقـد دعـا الرسول (ص) في هذا الموضع وأنزل الله على نبيه قرآناً ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً** ﴾ (٢) .

إلى غير ذلك من المواضع التي تشـرفت بنزول النصـر الإلهي فيها على أوليائه الطاهرين وعباده المتقين ، ولسنا الآن بصدد تقصّي تلك المواضع وإنما الهدف الإشارة وقد حصلت بما يزيد على الكفاية .

---

(٥) البحار: ج٢١ ص٢٢٧ باب المباهلة وما ظهر فيها من الدلائل والمعجزات .
(١) سورة الأحزاب ، الآية: (٢٥) .

الفصل الخامس

ويبحث ثلاثة أمور :

١ـ هل نحن عقلاء أم مجانين ؟

٢ـ ما هي أسباب ترك الإستغفار ؟

٣ـ ما هي سبل العودة للتمسك بالإستغفار ؟

المبحث الأول

هل نحن عقلاء أم مجانين ؟

يبدو أن السؤال مثير للإستغراب عند طائفة من الناس ومثير للحنق والغيظ عند طائفة أخرى ، وإن كان طبيعياً عند طائفة ثالثة .

وذلك لأن أساس الخلاف آتٍ من تحديد معنى العقل ؟ ومن هو العاقل ؟

فمن كان يفهم بأن العاقل هـو الذي يعـرف كيف يختار لـه البيت الأنيق والسيارة الجميلة وكيف يكون رابحاً دائماً في تجارته ، وإذا ما قرب الإمتحـان وكان طالبـاً إجتهد في مـذاكرة دروسـه ، وسهر الليـالي طمعاً في أخـذ شهادة الماجستير مثلاً ، أو تراه إذا ما سمع بأن حالة قحط ستمر ببلده سارع إلى مراكز التموين وآشترى منها ما يكفيه لعام كامل أو أكثر من المواد الغذائية ومـا شابـه ذلك .

فمن كان يفهم بأن العاقل هو من يملك هكذا صفات أو ما يقاربها فـإن السؤال المطروح سيثير استغرابه أو حنقه وغيظه بلا أدنى ريب .

ولكن من كان يعلم بأن العاقل هو من يحمل صفات مخصوصة لا توجد عند أكثر الناس . فإن السؤال لا يكون فقط طبيعياً وإنما يكون طـرحه ضـرورة دينية .

ولك الآن أن تسأل ما هو العقل ؟ ومن هو العاقل ؟

فنقول: العقل لغة: مشتق من مادة (عَقَلَ) أقول عَقَلَ الرجلُ البعيرَ يعني ربطه وشد وثاقه ليحفظه عن الإفلات ، والعرب يطلقون العقل على ما يحفظ الإنسان من موجبات الردى .

ويقابل العقل: الجهل والجنون .

ومعنى الجهل: عدم القيام بما ينبغي القيام به لعدم معرفته أو لتغلب الشهوة .

ومعنى الجنون: وجود خلل في أعصاب الفرد مما يجعله يمارس الأعمال الإعتباطية التي تضر نفسه وتضر الآخرين ، ولا يتمكن من القيام بما ينبغي عليه .

وبالتالي يكون معنى العقل في الشرع: هو ذلك الشيء الذي يحفظ الإنسان من الردى ويأخذ بيده إلى طاعة الله ومن ثَم إلى النعيم الأبدي . وهو الجنة .

قال أمير المؤمنين: « العقل ما عبد به الرحمٰن وآكتسب به الجنان »[١] والعاقل هو ذلك الإنسان الذي عقل الحقائق وأطاع ربه فيما أمر ونهى .

فحينما نضيف هذه المعاني إلى ما نوهنا إليه في الصفحات السابقة من أن الأرض بعد رسول الله (ص) لم يبق فيها سوى أمان واحد من كل نقمة وبلاء وهو (الإستغفار) .

كما قال أمير المؤمنين: « لقد كان في الأرض أمانان من عذب رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به أما الأول فهو الرسول (ص) وقد قبضه الله إليه ، وأما الأمان الآخر فهو الإستغفار فدونكم فتمسكوا به »[٢] .

تكون النتيجة أن تاركي الإستغفار يعيشون بلا أمان . فلربما كانوا عرضة

---

(١) البحار: ج١ ص١١٦ كتاب العقل والجهل ح٨ .
(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٨٨ .

لموت الفجأة ، أو لصاعقة من السماء كصاعقة عاد وثمود ، ولا يشعر بها أحد سواهم ، أو زلزال مدمر يبتلعهم مع أن مفتاح دفع البلاء بأيديهم وهو الإستغفار ، فأنظر كيف يلقونه جانباً ، ويفتحون صدورهم إلى النقمة الإلهية . فهل هؤلاء عقلاء ؟

حينما يشتعل في البيت حريق ، وتكون النيران مطوقة لك من كل جانب وبحوزتك لباس ضد الحريق ، بإمكانك أن تلبسه لتخرج به من أقرب المنافذ ، هل من التعقل بمكان أن تضعه جانباً وتدخل في الحريق دون أن تلبسه لتتقي به ذلك الحريق ؟

إن تارك الإستغفار أعظم خطراً وأخسر صفقة ممن يدخل الحريق بدون لباس يقيه حرّه ، مع توفر ذلك اللباس وقدرته عليه .

وإذا تعمقنا في المسألة أكثر وقلنا بأن من كان به خلل في أعصابه بحيث أصبح يمارس أعمالاً إعتباطية مضحكة ، لا يعدو كونه مبتلى وإن أسميناه مجنوناً تجوزاً .

وإذا أطلقنا على من أسرته شهواته ، وغفل عن رشده وترك سبيل نجاته ومشى برجله إلى دماره ، إذا أطلقنا عليه لفظ مجنون وهو كذلك كما دلت الأحاديث الشريفة . فإن النتيجة النهائية أن أكثر الناس مجانين لا عقلاء ، وبالتالي من الحكمة بمكان أن يسأل كل إنسان نفسه ويقول: هل أنا عاقل أم مجنون ؟

قال تعالى : ﴿ **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾[1] .

والآية الكريمة هذه: تقودنا إلى الإعتقاد بأن أكثر الناس ليسوا فقط بمجانين وإنما لا يستحقون إسم الإنسانية أصلاً ، بل هم إلى القردة أقرب ، إن أحسنا الظن فتأمل .

---

(١) سورة الفرقان الآية : (٤٤) .

يقول الإمام الصادق للمفضل بن عمر الجعفي : « تأمل خِلقة القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه ، أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان ، وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومي إليه ويحكي كثيراً مما يرى الإنسان يفعله حتى أنه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ، أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها[1] ، إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وإنه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق ، كان كبعض البهائم على أن في جسم القرد فضولاً أخرى تفرق بينه وبين الإنسان كالخطم[2] ، والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله ، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه والفصل والفاصل بينه وبين الإنسان في الحقيقة هو النقص في العقل والذهن والنطق » .

فلقد ركز الإمام أكثر من مرة على أن الإنسان إنما يفضل القرد بالعقل والذهن والنطق ، فكل من يتخلى عن رشد عقله يكون قرداً في واقعه ، وإن كانت صورته صورة إنسان .

وتكون المحصلة أن كل من يعصي ربه لا يسمى عاقلاً ، بل هو بهيمة من البهائم يدخل في عمومها القرد ، ولو التفتنا إلى الوراء قليلاً لرأينا بأن أصحاب السبت الذين عصوا ربهم وآقترفوا المحرمات أعادهم الله إلى الشكل الذي يستحقونه كما قال تعالى : ﴿ **فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد علمتم الذين آعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾[4] .

---

(١) السنخ : بتشديد السين وكسرها: الأصل .
(٢) الخطم من الدابة : مقدم أنفها وفمها .
(٣) سورة الأعراف الآية : (١٦٦) .
(٤) سورة البقرة ، الآية : (٦٥) .

ولعلك تسأل وتقول:

إن الكثير من أمة نبينا محمد (ص) يرتكبون الجرائم والكبائر وقد أوقفوا أنفسهم حرباً لله وحرباً لرسوله ولا نراهم مسخوا قردة أو خنازير فلماذا ؟ ؟

والجواب: إن الأخبار الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته دلت على أن المسخ الخارجي قد رفع عن أمة نبينا (ص) كرامة له وبقي المسخ الباطني فأنت ترى إنساناً يرتكب الكبائر ويجاهر بالفسق والعصيان وتحسب أنه لم يمسخ، ولقد أصابه المسخ الداخلي فلا يدري هل مسخ قرداً أو خنزيراً أو ثعباناً أو حماراً. أما المسخ الخارجي فلم يصب به كرامة لرسول الله (ص) لأنه من أمته لا كرامة له.

قال تعالى: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾[1] ففي قوله سبحانه: ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ حكمة بليغة فتدبرها عزيزي القارىء وسائل نفسك لماذا رُدّ الإنسان إلى أسفل سافلين بعد أن خلق في أحسن تقويم ؟

إن إجابتك على هذا السؤال دليل فهمك لما سبق الحديث عنه في هذا المبحث المقتضَب.

---

(١) سورة التين، الآيتين: (٤ و٥).

المبحث الثاني

ما هي أسباب ترك الإستغفار ؟

إن لترك الإستغفار أسباباً كثيرة ، وربما يتداخل بعضها مع البعض الآخر ، ونحن في هذه العجالة نشير إلى أهم تلك الأسباب بإذنه تعالى ، علّنا نستطيع علاجها حيث أن معرفة الداء نصف الدواء .

أولاً : الجهل بأهمية الإستغفار

حينما يجهل الإنسان أهمية (أخذ المناعة) ضد مرض الكوليرا مثلاً فإنه لا يبادر لأخذها ، فجهله بأنها أمان له من السقوط فريسة ذلك المرض هو الذي جعله لا يعير أي أهمية لمسألة المناعة بل ولا يدير بالاً للوباء المذكور .

الإستغفار كذلك هو أمان من وباء الذنوب التي تتحول إلى (نقم) وبلايا فالذي يجهل أهمية الإستغفار ويجهل أنه أمان لأهل الأرض لا يدير له طرفاً ، ولا يجد له في برامجه محلاً ، هذا من جانب ومن جانب آخر:

حينما لا يأخذ هذا الإنسان المناعة ضد الوباء المذكور لجهله بأنها أمان من الإصابة به ويصيبه الوباء ، ويقدم عذره بأنه لم يكن عارفاً بخطورته ، وأن أخذ المناعة أمر بغاية الأهمية فهل يسامحه الوباء ويقول له أنا آسف لأنني أصبتك فحيث أنك كنت جاهلاً غافلاً فأنا أنتقل الآن لغيرك وأتركك ؟ بالطبع كلا .

الأمر بالنسبة إلى الإستغفار كذلك فكون الإنسان جاهلاً بأهمية الإستغفار ، وجاهلاً بكونه أماناً لأهل الأرض من كل نقمة لا يكون مبرراً للإنسان إذا ما حلّت عليه النقمة نتيجة ذنوبه . فيكفي كونه متعمداً في العصيان عالماً بحرمته .

فالجهل بأهمية الإستغفار له بعدان :

بعد سلبي: وهو الجهل بأن تركه يعرض الإنسان إلى الخطر من حيث كونه أماناً لأهل الأرض .

وبعد إيجابي: وهو الجهل بفوائد الإستغفار العظيمة ، كإطالة العمر وبسط الرزق ، واستجابة الدعاء ، وتفريج الهموم وكشف البلايا وإسقاط الذنوب ودخول الجنة إلى غير ذلك .

فالطفل الذي لا يعرف قيمة الجوهرة تراه يلهو بها وربما ألقاها في القمامة ، بينما العاقل الذي يعرف قيمتها تراه يحفظها في مكان حَريز ، كما يحفظ أغلى الأشياء عنده .

فلو علم الناس ما يجده المستغفر من الفوائد الدنيوية والأخروية لسارعوا إليه كما يسارع الظمآن إلى ورود الماء الزلال .

ولا شك أن منشأ الجهل بأهمية الإستغفار أمور كثيرة منها: الإعراض عن كتاب الله ، وعن تدبر آياته ، ومنها: الإعراض عن أحاديث الرسول (ص) وأهل بيته التي تحث وبكثرة على أهمية الإستغفار ومنها: عدم دراسة تاريخ الأمم الماضية وكيفية هلاكها ، إذ لو درسناها وتفكرنا فيها لعلمنا يقيناً أن سبب هلاكها هو ابتعادها عن الإستغفار حيث أصبحت أسيرة ذنوبها فأهلكها الله بها .

ثانياً: الإنشغال بلهو الدنيا

ربما لا يجهل الإنسان أهمية الإستغفار ، وكونه أماناً لأهل الأرض ، بل ربما على النقيض تماماً يعلم أن سعادته في الدارين لا تتم إلا به ، ومع ذلك لا يستغفر ، بل ولا يفكر في الإستغفار أساساً ، وذلك لأن الدنيا شبك قلّ من

يستطيع الخلاص منه .

فالنفس بطبيعتها تحب الركون إلى الراحة واللهو وديمومة الترويح فحينما توجه عنانها نحو طاعة من طاعات الله تراها متكاسلة متراجعة يعلوها الملل ، وتنتابها السآمة ، وتجد صعوبة ملحوظة في ترويضها على تلك الطاعة وحينما تعرض لها شيئاً من أمور الدنيا وزخارفها وما يتعلق بها من أمور الفسحة والترويح ، تجدها نشطة سعيدة لا تجد أدنى صعوبة في تكليفها ذلك ، بل بالعكس تماماً ربما تجد صعوبة في منعها ذلك ، فإذا عوّد الإنسانُ نفسه على الراحة واللهو والسياحة وحتى لو كان اللهو والسياحة بأمور مباحة فإنه ومع مرور الزمان يرى أن هذه الأمور ضرورة حياتية له كضرورة النوم والأكل والشرب ، ومن ثم لا يجد فراغاً من وقت يستغفر فيه ربه ، بل ولا فراغاً من وقت يفكر فيه أن يستغفر .

وخير شاهد على ذلك ما نلاحظه جميعاً أيام العطل السنوية والشهرية والأسبوعية ، حيث أننا نلاحظ أن ليالي الجمع وأيامها تضيع هباء منثورا في السهرات الفارغة على سواحل البحر وأمام شاشات التلفاز وغير ذلك .

والنفس مهما روحت عنها فإنها لن تقنع بما تعطيها ، وحتى تسكن التراب ، ويكفينا دليلاً على ما نقول ما نراه من أنفسنا .

ثم إننا لسنا ضد الترويح عن النفس مطلقاً بل ربما كان مطلوباً أحياناً ، لكننا ضد الترويح بلحاظين :

١) الترويح عن النفس بأمور حرمها الشارع المقدس كالترويح عنها بالذهاب إلى المنتزهات المختلطة التي لا يسلم الإنسان غالباً فيها من الوقوع في الحرام ولو بنظرة واحدة وعلى هذا المثال فقس ما سواه .

٢) الترويح عن النفس بشكل مفرط بحيث لا يبقى عند الإنسان وقت لأن يفكر في نفسه ، وفي ذلك اليوم المهول الذي يجعل الولدان شيباً .

والخلاصة : إنقياد الناس لرغبات أنفسهم ، وكونهم سلسي القياد لها

جعل بينهم وبين التفكير في الإستغفار حُجُباً كثيرة .

لذلك أصبح الإنشغال بلهو الدنيا سبباً رئيسياً من أسباب ترك الإستغفار .

ثالثاً: الغفلة عن أُزوف الإنتقال

ومن أسباب ترك الإستغفار الغفلة عن قرب الرحيل فمعلوم بالأصل أن القيامة قريبة ، وما مضى من الدنيا أكثر مما بقي فيها وذلك .

لقوله تعالى: ﴿ **آقتربت الساعة وآنشق القمر** ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ **آقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون** ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿ **إنا آنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً** ﴾[3] .

وقوله تعالى: ﴿ **آزفت الآزفة** ﴾[4] .

إلى غير ذلك من الآيات

وفي اللغة لا يقال للشيء اقترب إلا إذا كانت المسافة بينه وبين نقطة الهدف أقل من المسافة بينه وبين نقطة انطلاقه ، وإذا قيل ذلك فإنه تجوّز لا أكثر .

والمعنى المتحصل أن الساعة قريبة ، وحشر الناس أصبح وشيكاً . هذا بلحاظ الناس بشكل جمعي ، أما بلحاظ الفرد فآنتقاله إلى دار الجزاء أقرب من ذلك عقلاً . لأنه مع ما تصرم من عمره لا يدري متى يوافيه الحِمام ، وهل يسعه استتمام ساعته التي هو فيها أم لا ؟ أو أن يتصل نفسه بالنفس اللاحق أم لا ؟

(١) سورة القمر ، الآية: (١) .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية: (١) .
(٣) سورة النبأ ، الآية: (٤٠) .
(٤) سورة النجم ، الآية: (٥٧) .

فمع عرض المسألة على الموازين العقلية تكون قيامته أقرب من قيامة الناس يوم المحشر بناء على ما قام الدليل عليه من أنه إذا مات آبن آدم قامت قيامته .

فغفلة الإنسان عن قرب رحيله ، وقرب حسابه هو الذي يجعله ينشغل عن الإستغفار وأهميته ، كالطالب الذي يغفل عن قرب الإمتحان فيلهو ويضيع وقته ولا يفتح عينيه إلا وقد فوجيء بساعة الإمتحان فعندها يندم على عدم استعداده ومذاكرته ولو لم يغفل عن ساعة الإمتحان لربما ذاكر دروسه واستعد لامتحانه . يقول أمير المؤمنين « أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت »[١]

رابعاً: الشيطان والنفس

لكل إنسان عَدُوَّان أحدهما خارجي والآخر داخلي فالخارجي وهو الشيطان وجنده والداخلي وهو النفس ، ولقد ركز القرآن الكريم والسنة الشريفة على تبيان هذا الأمر إلى الناس جميعاً حتى يكونوا على بينة من هذين العدوين الرئيسيين الذين هما عند كل إنسان ومن ثم يأخذ كل إنسان أهبته واستعداده لمحاربتهما والتخلص من كيدهما .

فحول الشيطان:

قال تعالى :

﴿ إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾[٢] .

﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾[٣] .

﴿ إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبينا ﴾[٤] .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة: ٨٤ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية: (٢٢) .
(٣) سورة يوسف ، الآية: (٥) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية: (٥٣) .

﴿ إن الشيطان لكم عدوٌّ فآتخذوه عدواً ﴾[1] .

﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾[2] .

إلى غير ذلك من الآيات .

وحول النفس :

قال تعالى :

﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾[3] .

﴿ وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾[4] .

﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾[5] .

﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[6] .

إلى غير ذلك من الآيات:

فالآيات صريحة على أن كلّاً من الشيطان والنفس عدو لهذا الإنسان يتعاونان عليه بغية هلاكه .

وكذلك أشارت النصوص الصريحة عن الرسول (ص) وأهل بيته إلى هذين العدوين .

ففي نهج البلاغة خطبة رقم (٦٤) يقول أمير المؤمنين حول **الشيطان**:

« والشيطان موكل به ـ أي بالإنسان ـ يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها » .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : (٦) .
(٢) سورة الفرقان ، الآية : (٢٩) .
(٣) سورة يوسف ، الآية : (٥٣) .
(٤) سورة النساء ، الآية : (٧٩) .
(٥) سورة قَ ، الآية : (١٦) .
(٦) سورة الحشر ، الآية : (٩) .

وفي الخطبة الغراء يقول أيضاً « أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر واحتج بما نهج وحذّركم عدواً نفذ في الصدور خفياً ، ونفث في الآذان نجياً فأضل وأردى ووعد فمنّى[1] ، وزين سيئات الجرائم ، وهوّن موبقات العظائم حتى إذا آستدرج قرينته ، وآستغلق رهينته أنكر ما زين ، وآستعظم ما هوّن وحذّر ما أمّن »[2] .

وقال أمير المؤمنين حول النفس :

« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك فإن قدرت عليها كنت على غيرها أقدر وإن عجزت عنها كنت عن غيرها أعجز » .

فتعاون هذين العدوين يشكل سبباً رئيسياً لإعراض الإنسان عن الإستغفار .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشيطان ربما تمثل في الزوجة وربما تمثل في الصديق .

والشيطان يُعرف بآثاره فإذا طلب منك ولدك أو صديقك أو زوجتك مثلاً أموراً تخالف الدين فآعلم بأن الشيطان نفث في روعهم بل ربما كان كل واحد منهم شيطاناً .

ولا أريد منك إساءة الظن بولدك أو صديقك أو زوجتك لأن سوء الظن في الأصل منهي عنه ، غاية ما في الأمر أنني أردت أن أضعك أمام حقيقة إن جهلتها ربما ذقت الويلات ، ولم تلتفت إلى نفسك مع مرور الأيام إلا وأنت جندي من جنود الشيطان ـ لا سمح الله ـ تخدمه من حيث تشعر أو لا تشعر .

وإذا أردت أن تكون على يقين مما أشرت إليه فتدبر معي هذه الآيات :

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم**

---

(١) فمنى : أي صور الأماني كذباً .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ٨٣ .

فآحذروهم ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن آستحبوا الكفر على الإيمان** . . . . ﴾[3] .

فهذه الآيات صريحة في إثبات صحة ما ذكرناه ، فإذا كان من الأزواج والأولاد من يمكن أن يكون لنا عدواً علينا أن نحذر منه فمن باب أولى أن يكون من الأصدقاء من يمكن أن يكون عدواً .

ولو تعمقنا أكثر للاحظنا أن لفظة (عدو) قيلت هناك في الشيطان ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فآتخذوه عدواً** ﴾ .

وقيلت هنا في الأزواج والأولاد ﴿ **إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فآحذروهم** ﴾ .

فكلمتا (عدو) متساويتان في المعنى في الآيتين وعبارتا : ﴿ **فآتخذوه عدواً** ﴾ و ﴿ **فآحذروهم** ﴾ بينهما قاسم مشترك في المعنى أيضاً .

ولم يكن هذا التركيب البديع إلا ليكشف لنا هذه الحقيقة .

كما أننا نلاحظ القرآن حينما يتحدث عن الشيطان يقول : ﴿ **ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون** ﴾[4] .

ثم يجعل سبحانه نفس هذه الصفة وهي (الإضلال) إلى أناس يقومون ويقعدون ويأكلون ويشربون ونجالسهم ونخالطهم . قال تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا**

---

(١) سورة التغابن ، الآية : (١٤) .
(٢) سورة النساء ، الآية : (١٤٠) .
(٣) سورة التوبة ، الآية : (٢٣) .
(٤) سورة يس ، الآية : (٦٢) .

أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾[1] .

فهؤلاء القوم الذين ﴿ **أضلوا كثيراً** ﴾ هم شياطين في واقعهم ولقد أشار القرآن كثيراً إلى شياطين الإنس . قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس . . .** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم** ﴾[3] . وواضح أنهم من الإنس .

وقال تعالى : ﴿ **من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس** ﴾[4] .

ولا شك أن الله سبحانه أرشدنا إلى السبل التي بها نستطيع إذلال هذين العدوين وإخضاعهما في كتابه المحكم ، غير أن الناس هم الذين مكنوا هذين العدوين منهم وما آستبصروا حين بُصِّروا وما آتعظوا حين وعظوا وما آهتدوا حين هدوا .

وإلا ما الشيطان وما خطره ؟

وما النفس وما خطرها ؟

حتى يسيطرا على أشرف مخلوق على وجه البسيطة وهو الإنسان .

الشمس والقمر والنجوم والكواكب والأرض والبحار كل أولئك مسخرات إليه . إنه حب التسافل والهبوط هو الذي مكّن هذين العدوين منه . ﴿ **وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : (٧٧) .
(٢) سورة الأنعام ، الآية : (١١٢) .
(٣) سورة البقرة ، الآية : (١٤) .
(٤) سورة الناس ، الآية : (٤ - ٦) .
(٥) سورة النحل ، الآية : (١١٨) .

خامساً: اليأس:

كذلك من أسباب ترك الإستغفار اليأس من رحمة الله وغفرانه ، وهذه الحالة يصاب بها الكثير من الذين عاقروا الكبائر ورأوا أن بينهم وبين جادة النجاة مسافة بعيدة جداً ربما قدروها بالسنين الضوئية!!! فكيف يسعهم الإستغفار وترك شهواتهم وملذاتهم ، فيخسرون دنياهم وهم في الأصل على يقين من الخسارة في الآخرة ؟

إنهم يقولون إذا كان لا بد من خسارة الآخرة فإن الدنيا لا يسعنا خسارتها أيضاً ونحن قادرون على ربحها والتنعم فيها .

ولا شك أن الخطأ إذا كان مبنياً على خطأ أصبحت النتيجة خطأ مضاعفاً ، فليس بين الإنسان وبين طريق الجنة مسافة بعيدة مهما كثرت ذنوبه ما لم يكن مشركاً أو قاتلاً لمؤمن على وجه العمد[1] ، إنه ربما في ساعة تفكير فقط سجل لنفسه السعادة والأبدية والدولة السرمدية وما عليه بعدئذ إلا إصلاح ما أفسده .

كما أن المسلم غير لائق به ولا يصح له أن ييأس من رحمه الله وغفرانه ، لأن مسألة اليأس من صفات الكافرين قال تعالى: ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾[3] .

وكي نتخلص من اليأس علينا أن نعرف على الأقل أن الله سبحانه أرحم بعبده من الأم الحنون بوحيدها الذي لا تملك غيره .

---

(١) ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ النساء ، الآية: ٤٨ .
﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾ النساء ، الآية: ٩٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية: (٨٧) .

(٣) سورة الزمر ، الآية: (٥٣) .

سادساً: تصور تأجيل الثواب

إن التصورات التي تراود الإنسان أحياناً في أن ثواب الإستغفار مؤجل إلى الآخرة حينما يضاف إليها حالة التشكيك التي تراود البعض في مسألة البعث والنشور ، ويضاف إليها أيضاً الحقيقة التي لا مفر من التصديق بها وهي أن النفس مجبولة على حب المنفعة المعجلة .

كل هذه الأمور حينما تجتمع على الإنسان تجعله يتراجع أميالاً عن الإستغفار ، بل يعرض عنه كلياً ، وبالتالي تُراود ذهنه هذه المقولة: بيني وبين الآخرة دهر طويل وعمر مديد فكيف أبيع وجودي وحياتي بشيء مؤجل ، بل ولست على يقين من ثبوته فيكون حاله كمن قال « وما عاقل باع الوجود بدين »(١)

فعلى أساس هذه التصورات تراه يضيع أوقاته في اللهو والراحة والرفاه لاهياً عما يراد به .

بينما الحق أن ثواب الإستغفار ومردوداته الحسنة ليست في الآخرة فقط بل وفي الدنيا أيضاً ، وقد أشرنا في الفصل الثاني إلى فوائد الإستغفار الدنيوية فراجع متأملاً ومتفكراً .

سابعاً: التسويف

ينفذ الشيطان أحياناً إلى بعض من يريد إضلالهم عبر منفذ خطير وخاص كي لا يحدث عند هؤلاء شيء من ردة الفعل ، أو هزة تعيد لهم اليقظة والتفكر في أنفسهم ذلك المنفذ هو التسويف ، إذْ ربما لو قال الشيطان لهم آتركوا الإستغفار من أساسه لم يجد منهم أُذُناً صاغية بل ربما آكتشفوا لأول وهلة خُبث سريرته ، لذا يستخدم الشيطان أسلوب الخداع والتضليل والمغالطة فلعمري إنه ليحمل شهادة الإمتياز في كل ذلك .

---

(١) القائل عمر بن سعد .

إنه يلقي في روع هؤلاء أنه باحث عن مصلحتهم وحريص على سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولا يطلب منهم أكثر من أن يجمعوا بين الأمرين المشار لهما ضمناً :

أولهما : الترفيه والترويح عن النفس وإعطائها سؤلها وحاجتها .

وثانيهما : الإستغفار والإنابة إلى الله غير أنه يريد أن يكون الأمر الأول هو السابق والأمر الثاني هو المتأخر .

فهناك وقت طويل يمكن إيقاع الإستغفار والإنابة فيه ويبدأ يعيد إلى ذاكرة من يريد إضلالهم قصص الكثير ممن أنعم الله عليهم بالمغفرة في آخر حياتهم وكأنه يقول : آنظروا إلى أولئك كيف تمتعوا في الدنيا وتنقلوا من لذة إلى لذة غير مبالين بحرام أو حلال ومع ذلك ما خسروا الآخرة ، بل آستغفروا وتابوا في آخر أيامهم فغفر الله لهم وتاب عليهم وفازوا بلذة الدنيا والآخرة ، فأصبحوا أحسن حالاً ممن فاز بإحدى الدارين فقط دون الثانية .

وهذه مغالطة تمكَّن الشيطان وبمعيّة أعوانه ممن أشرنا إليهم في السبب الرابع من هذه الأساب تمكنوا من زرعها في أذهان الكثير من الناس .

بل لو قلنا في أذهان أكثر الناس ربما لم نكن مخطئين ولا مجانبين الحقيقة .

والردّ تفصيلاً على هذه المغالطة لا يسعه هذا المختصر غير أننا نشير ولو إجمالاً فنقول :

أ ـ نحن لا نسلم أبداً في أن التنقل من لذة إلى لذة ومن متعة إلى متعة دون مراعاة للحلال والحرام يعتبر فوزاً بسعادة الدنيا . لأنه أي سعادة دنيوية يجدها العاصي وهو يرى نفسه منبوذاً في المجتمع إذا حضر ناد من نواديهم أعرضوا عنه أو نظروا إليه شزراً ؟ كما أنه أي سعادة هذه وهو أسير في قبضة غرائزه وشهواته لا يسعه التخلص من ذلك ؟ فهل السعادة في الحرية أم في العبودية والأسر ؟

أم هل سعادة الدنيا في أن ينتقل شارب الخمر أو متعاطي المخدرات مثلاً من مستشفى إلى آخر ومن سجن إلى غيره ومن مشكلة إلى مثلها وهكذا ؟

ب ـ إن الشيطان يذكر لأتباعه قصص الذين سوفوا الإستغفار والتوبة ثم تداركتهم رحمة الله . فلماذاً لم يذكر لهم مئات القصص بل آلافها بأسماء شخصياتها من الذين لم تتداركهم رحمة الله فأصبحوا وقود جهنم وبئس المصير .

جـ ـ من ذا الذي يسعه أن يعطي الإنسان العاصي ضماناً لأن يبقى إلى ثمانين أو ما حولها من السنين كي يستغفر ربه ويتوب من ذنوبه ويقبل استغفاره وتوبته وتقال عثرته ؟

أو ليس في آلاف الموتى من الذين فارقوا الدنيا في ريعان شبابهم ما يكفي لأخذ العبرة والعظة ؟

كما أنه ليس كل من تاب وآستغفر قبل الله توبته وآستغفاره وليس كل من طلب إقالة العثرة أقيلت عثرته فتأمل لأن كل ذلك لا يتم إلا بشرطه وشروطه وأنى وكيف تتوفر كل تلك الشروط بين عشية وضحاها ؟!!

د ـ إن الإنسان ليعصي ثم يعصي ثم يعصي فتصبح المعصية جزءاً من كيانه يصعب عليه التخلص منها . فإذا كان الإنسان ضعيفاً أمام التخلص من وساوس الشيطان قبل انحرافه فكيف لا يكون ضعيفاً أمام التخلص من سلاسل الشيطان التي قيده بها بعد أن أصبحت الجريمة جزءاً منه ، وبعد أن طبع على قلبه وبعد أن سلّمه الشيطان شهادة تقدير على تفننه في اقتراف المآثم وارتكاب الجرائم .

لقد كتب أمير المؤمنين إلى بعض أصحابه : « فتدارك ما بقي من عمرك ، ولا تقل غداً وبعد غد فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون » .

ومنشأ التسويف طول الأمل وطول الأمل منشأه الجهل بحقيقة النفس

والحياة وسنن الكون بمختلف الأبعاد .

قال أمير المؤمنين « لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ويرجّي التوبة بطول الأمل »[1] .

وقال مولانا زين العابدين في المناجات: « . . . . وأعنّي بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري » .

ثامناً: التغافل عن دقة الحساب

من أسباب ترك الإستغفار والإعراض عنه مسألة التغافل عن الحساب الدقيق يوم يقوم الناس لرب العالمين .

حيث تصل السذاجة بالبعض إلى درجة أنه ينتقل من ذنب إلى ذنب ومن جريمة إلى أخرى ، ولا يحدث نفسه حتى باسم الإستغفار فضلاً عن معناه ، وإذا ما قيل له إستغفر الله وحاسب نفسك وأصلح ما أفسدت قال: « رحمة الله واسعة ، وعفوه قديم ومغفرته تشمل حتى كبار المجرمين فأنا وأمثالي أحق أن تشملنا رحمة الله ويسعنا عفوه » . ثم تجده يردد هذا الحديث: « حسن الظن بالله ثمن الجنة »[2] وكأنه لا حساب ولا عقاب ولا تطاير كتب ولا نصب موازين ولا هول مطلَع ولا عرض على جهنم ولا شيء من كل ذلك ، فما على الإنسان حتى يدخل الجنة إلا أن يحسن الظن بالله ويثق بأن الله سيدخله الجنة فإنه يجد أمنيته ، ويدخل الجنة من أوسع أبوابها ، وليس مهماً أن يعرف حقيقة حسن الظن أو حقيقة تلك الثقة وشروط توفرهما وإمكانية توفرهما عند المذنبين أو عدمها إلى غير ذلك ، وهذا خطأ فادح وفهم مهلك ، فحسن الظن بالله شيء حسن وجميل ، ودليل إيمان . ولكن لحسن الظن بالله مبرراته وشروطه .

أما أن يعصي الإنسان ويعاقر الجرائم ويقول(الله سيغفر لي) فهذا القول إما مغالطة يستعملها لتبرير جرائمه وهو يعلم في قرارة نفسه أنه بعيد عن

---

(١) غرر الحكم: رقم ١٠٥١٥ .

(٢) آمالي الطوسي: ص٣٨٩ .

المغفرة . أو أنه نوع من السذاجة والخبال .

قال أمير المؤمنين: « لا تكن من يرجو الآخرة بغير العمل »[1] .

وقال الإمام الصادق في وصيته لعبد الله بن جندب: « يا بن جندب يهلك المتكل على عمله ولا ينجو المتجرىء على الذنوب ، الواثق برحمة ربه! قلت فمن ينجو قال الذين هم بين الرجاء والخوف كأن قلوبهم في مخلب طائر شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العذاب »[2] .

وكيف كان ، تجد هذه الفكرة محلها المناسب في أوساط الكثير من المسلمين الذي أخذوا الدين على أساس التسامح المطلق فكل شيء تهواه أنفسهم ، لا بد أن يجدوا له وجه تسامح من الله . لذا تجد البعض يملأ عينيه من الحرام ويقول: الله غفور رحيم ويتهاون بصلاته وصومه وحجه وبكل ما أوجبه الله عليه ، ويقول: الله غفور رحيم! وهكذا . . . ولو تدبر هؤلاء قليلاً في هذه الآيات:

﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[3] .

﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾[4] .

﴿ يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾[5] .

لعلموا أن حالة التغفل هذه أوقفتهم على شفا جُرف هار من العذاب حيث لا بد من العرض على الله ، ولا بد أن تجد كل نفس ما قدّمت وأخرت من سيء الأعمال وخيرها وقليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها .

---

(١) غرر الحكم: رقم ١٠٥١٥ .
(٢) تحف العقول: ص٢٢٢ باب في وصية الصادق (ع) لابن جندب .
(٣) سورة الزلزلة ، الآية: (٨) .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية: (٤٧) .
(٥) سورة الكهف ، الآية: (٤٩) .

المبحث الثالث

ما هي سبل العودة للتمسك بالإستغفار ؟

فيما سبق حيث كان الحديث عن أبرز الأسباب التي جعلت الكثير من الناس يتركون الإستغفار أشرنا في خضم ذلك إلى شيء من طرق العلاج لأصل المشكلة وها نحن في هذا المبحث نشير بإذنه تعالى إلى أبرز النقاط المهمة التي يمكننا على ضوئها العودة للتمسك بهذا الأمان ولعل هذه النقاط تتداخل مع بعضها البعض غير أن تفصيلها يحوي فائدة لا تنكر ، فأهم سبل العودة للتمسك بالاستغفار ما يلي :

أولاً : التفكر

« التفكر يدعو إلى البر والعمل به »(١) هذا ما قاله أمير المؤمنين وهو كاشف عن أن التفكر سلّم نجاة وسبيل هدى ، فمن تفكر في نفسه وروحه أيقن بأن له مدبراً ، ومن تفكر في عظمة مدبره لم يجرؤ على معصيته ، ومن تفكر في الدنيا وزوالها أخذ حذره منها وتعامل معها كما يتعامل مع الحية الرقطاء اللين مسها والقاتل سمها . أو كتعامله مع الجيفة لا يأخذ منها إلا مضطراً وقدر الحاجة فقط ومن تفكر في حال الأمم الماضية وكيف فنيت وبماذا فنيت ؟

---

(١) البحار : ج٦٨ ص٣٢٢ باب التفكر والاعتبار والاتعاظ بالعبر ح٥ .

وتفكر في عاقبة المذنبين وكيفية هلاكهم تورع عن فعل ما كانوا يعلمون ومن تفكر في الموت وقربه تهيأ له قبل نزوله ، ومن تفكر في النار وعذابها با بعمله إلى التخلص منها ، ومن تفكر في الجنان ورياضها اجتهد في تحصيلها

فالتفكير حياة القلوب ، وموقظها من السبات .

قال أمير المؤمنين « نبِّه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق ا ربك »[1] .

وقال الإمام الحسن بن علي : « أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكر ف التفكر أبو كل خير وأمه »[2] .

فبالتفكر يمكن معالجة كل الأسباب السابقة التي جعلت أكثر النا يتركون الإستغفار ، ويفرون منه .

فمن تفكر نجا من الهلاك في الدنيا والآخرة .

بل إن من أسباب هلاك من هلك من الأولين أنهم لا يفكرون ولو فكر لاهتدوا ، ولو آهتدوا لأطاعوا ولو أطاعوا لنجوا .

قال رسول الله (ص) : « إن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المست في الظلمات بالنور يحسن التخلص ويقلّ التربص »[3] .

وقال أمير المؤمنين: « من تفكّر أبصر »[4] .

من هنا أصبح التفكير أكبر عبادة ، بل ما عبد الله بمثل التفكير .

قال أمير المؤمنين: « لا عبادة كالتفكر في صنعة الله عز وجل »[5]

---

(١) الكافي : ج٢ ص٥٤ باب التفكر .
(٢) ميزان الحكمة : ج٧ ص٥٤٠ .
(٣) البحار : ج٨٩ ص١٧ باب فضل القرآن وإعجازه ح١٧ .
(٤) نهج البلاغة : الكتاب ٣١ .
(٥) البحار : ج٦٨ ص٣٢٤ باب التفكر والاعتبار . . . ح١١

وقال الإمام الصادق: « ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله » .

وقال أيضاً: « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »(١) .

وقال أيضاً: « كان أكثر عبادة أبي ذر رحمة الله عليه التفكر والإعتبار »(٢) .

وسئلت أم أبي ذر عن عبادة أبي ذر فقالت: « كان نهاره أجمع يتفكر في ناحية عن الناس »(٣) .

نعم إنه يتفكر في الكون وفي نفسه وفي حال الأمم الماضية وفي سبل النجاة . وفي كيفية التعامل مع هذه الدنيا الفانية وفي ضيق القبر ووحشته وفي هول المطلع وفي ساعة النشور وفي العرض على جهنم و . . . و . . . . . .

ففكره عبادة وأنفاسه عبادة وجلوسه عبادة ، وقيامه عبادة واضطجاعه على فراشه عبادة ، لذلك لا تراه منشغلاً بغير عبادة قيل له ذات مرة: لماذا لا تعالج عينيك ؟ فقال: شغلني عن علاجهما العظيمتان الجنة والنار(٤)

وقال أمير المؤمنين: « ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق »(٥) .

---

(١) البحار: ج٦٨ ص٣٢٧ باب التفكر والإعتبار . . . ح٢٢ .
(٢) البحار: ج٦٨ ص٣٢٣ باب التفكر والإعتبار . . . ح٦ .
(٣) ميزان الحكمة: ج٧ ص٥٤٢ .
(٤) (وليس المعنى المراد: أن الإنسان إذا أصيبت عيناه بمرض لا يعالجهما، بل قد يكون العلاج واجباً أيضاً ، إنما المعنى المراد أن أبا ذر وصل به الورع والإيمان والخوف والرجاء إلى درجة شغلته عن التفكّر في علاج عينيه حيث أن الجرح يسكنه الذي هو آلم منه) .
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥ .

وعجبت ممن يعاقر الجرائم ويترك الواجبات ولا يفكر في الإستغفار وفي محاسبة نفسه معللاً ذلك بأنه يشك في أن لهذا الكون مدبراً ويشك في صـدق الأنبياء ، وما جاؤوا به من الله سبحانه .

ومبرر تعجبي أن الواحد من هؤلاء لو أخبره شخص مجهول مثلاً عند تركه طعامه في البيت أنه نفثت فيه حيّة وألقت سمها فيه وكان ذلك المجهول يحتمل أن يكون صادقاً ويحتمل أن يكون كاذباً فإنك تجد ذلك الشخص يترك الطعام لا محالة ولا يأكل منه شيئاً ولو كان ألذ الأطعمة عنده ، وتراه يبـرر تركـه لطعـامه بقوله: إن كان المخبر كاذباً لم يفتني سوى هذا الطعام ، وإن كان صادقاً نجوت من موت محتم .

وهـذا المنطق صحيـح لأنه آت من وحي العقـل حيث أنه أخـذ الحيطة والحذر كي لا يخسر حياته ، لكن من حقنا أن نقول لم لا يأخذ الحيطة والحذر من النار والعذاب أيضاً في يوم لا ينفع فيه مـال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويقول نفس المقولة إن كان ما جاء به الأنبياء والرسل كذباً لم أخسر(١) سوى لذات بسيطة في هذه الدنيا ، وجهد بسيط في أمور الصلاة والصيام وغيرها من العبادات لا أكثر .

وإن كان ما جاؤوا به صدقاً فويل لي من عـذاب النار ، وغضب الجبـار وويـل لي من سورات الحميم وزفـرات الجحيم ، وويل لي من حيـات جهنم وعقاربها ، وويل لي من طول العـذاب ومدتـه وصعوبتـه وشدتـه بل ذلـك هو

(١) عبرنا بكلمة أخسر نزولاً عند فكر منكري الله والبعث وإلا فالحق أننا لا نسلم أن ذلك خسارة وإن لم يكن هناك بعث ونشور فاللذات البسيطة والمتروكة والمحرمة أكثرها إنما حرم لأنها تضر الإنسان كما أن الجهد المبذول للصلاة والصيام يكفي به فائدة أنه روض جسم الإنسان وجعله يعيش حياة هانئة سعيدة ، إلى غير ذلك من الفوائد الصحية التي لا سبيل لإنكارها .

الخسران المبين .

لكن ماذا تقول لمن أصبح فكره في إجازة طويلة ؟

إنه لمن المؤسف جداً أن يفر الناس من التفكير فيما يعود عليهم بسعادة الدنيا والآخرة فرارهم من الأسد .

ولعلك تسأل عن سبب هذا الفرار ؟

فنقول والله العالم لسببين هامين :

١ ـ الفكر النافع سواء في النفس أو في حال الأمم الماضية أو في الموت وسكراته أو في القبر وعذابه أو في القيامة وأهوالها أو في الصراط ومزالق دحضه وأهاويل زلله ، أو فيما أعده هذا الإنسان لآخرته إلى غير ذلك ، كل هذا فكر لداغ مؤلم للقلب تنفر منه النفس غالباً ما لم تُروَّض ، حيث أنها تتلذذ بالتفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والإستراحة .

٢ ـ أساس التفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات والإنسان غالباً له في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة فهو مشغول بتدبير حيلته والتفكر يعكر عليه صفو شهواته ولذائذه .

ولنا أن نقول لهذا الإنسان ما يلي :

أ ـ إذا كنت تتألم وتفر من التفكر والتحدث في أمر سكرات الموت وعذاب القبر وهول المطلع وسوء الحساب وعذاب النار فيكف إذا رأيت ذلك رأي العين وواقعته ، ولم تكن قد أخذت لذلك أهبتك و استعدادك ؟

ب ـ إذا كان التفكر يفوت عليك بعض لذات الدنيا ، ويعكر عليك صفو بعض لذائذها فآعلم بأن فوات لذات الآخرة وشهواتها وخيراتها وحورها وجنانها أشد وأعظم .

وقبل أن أنتقل إلى النقطة الثانية من نقاط سبل العودة إلى الإستغفار ، علينا أن نعرف أمرين هامين :

١ - إن هناك فرقاً بين التفكر والخيال . فالتفكر هو البحث عن العلم واليقين وعلى أساس مبادىء معلومة للوصول إلى معرفة حقيقة الأمر المجهول . بينما الخيال : يقود صاحبه إلى الجهل والتصورات الفاسدة والأوهام الباطلة ولا يصل بصاحبه إلى أي هدف ونتيجة .

٢ - حتى يكون تفكيرنا صحيحاً علينا أن نخرج من الجهل المركب كي لا يكون تفكيرنا منطلقاً من رواسب خاطئة ، فنضل الطريق . بل علينا أن نعرف أننا جاهلون بأمور كثيرة ، بل لكل شيء باستثناء أمور بسيطة تعلمناها وهي لا تساوي من العلم إلا بمقدار ما تحمله الإبرة من البحر العملاق ، بل أقل من ذلك!

ثم علينا أن لا ننسى أننا ما خلقنا علماء قال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً** ﴾[١] .

فإذا استشكل علينا أمر وجب علينا أن نحمله على جهالتنا لأنها هي الأصل .

قال أمير المؤمنين : في نهج البلاغة في وصيته رقم (٣١) : « وآعلم أن مَالِكَ الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت وأن المفني هو المعيد ، وأن المبتلي هو المعافي وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والإبتلاء ، والجزاء في المعاد أو ما شابه مما لا تعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فآحمله على جهالتك فإنك أول ما خلقت به جاهلاً ثم عُلّمْت، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك » .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (٧٨) .

ثانياً: العلم بمكانة الإستغفار

إذا كان الجهل بأهمية الإستغفار وبكونه أماناً لأهل الأرض هو الذي جعل الأكثر من الناس يتركونه فإن العلم بأهميته ومكانته ، وبكونه الحصن والحرز لهذا الإنسان هو الطريق الطبيعي للعودة إليه والتمسك بأزمته .

فإذا علم الإنسان أن كل ما يصيبه من مصائب الدنيا هو نتيجة الذنوب والمعاصي ، ونتيجة إصراره عليها وعدم استغفاره منها وعرض هذا العلم على عقله ، فإنه بلا شك سيلتفت إلى أهمية العودة إلى الإستغفار .

ألا ترى أن العلماء الربانيين هم أكثر الناس خوفاً من الله ؟

قال تعالى : ﴿ **إن الذين أُوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾[1] .

أما كيف يمكننا العلم بمكانة الإستغفار وأهميته فهناك عدة طرق منها:

١ ـ دراسة تاريخ الأمم الماضية لمعرفة أن سبب هلاكها هو ترك الإستغفار .

٢ ـ دراسة القرآن الكريم خاصة السور التي تشير إلى أهمية الإستغفار ، وأخص بالذكر سورة هود ، فلقد تكرر الأمر بالإستغفار فيها مراراً ، وأوضحت هذه السورة من فوائد الإستغفار الشيء الكثير .

٣ ـ مطالعة ما جاء في كتب الحديث عن أهمية الإستغفار من الروايات الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) وأهل بيته الطاهرين .

٤ ـ مجالسة أهل العلم والدين الذين يكون النظر إلى وجوههم عبادة وهم الذين عليهم سيماء الوقار ، تعلوا وجوههم عبرة الخاشعين إذا نظرت إليهم تذكّرت الآخرة ، فلقد سئل أحد أئمتنا عليهم السلام : هل النظر إلى وجه العالِم

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات : (١٠٧ ـ ١٠٩) .

عبادة ؟ فأجاب: النظر إلى وجه العالم الذي يذكّرك بالآخرة عبادة .

٥ ـ السؤال عن أهمية الإستغفار ، فإن السؤال مفتاح العلم والمعرفة فلقد ورد الحديث الشريف: « جعل العلم في بيت وجعل مفتاحه السؤال »[١] .

فإذا جلست مع عالم فآغتنم فرصة جلوسك معه .

قال رسول الإنسانية محمد (ص) في حديث ما معناه: إذا مررتم برياض الجنة فآرتعوا ، قيل يا رسول الله (ص): وما رياض الجنة ؟ قال مجالس العلماء إذا مررتم بها فآسألوا ألا وإن في السؤال يربح أربعة السائل والمجيب والسامع لهما والمحب لهم جميعاً .

إلى غير ذلك من الطرق التي ليس همّنا الآن حصرها وإنما الإشارة إليها فقط .

ثالثا: الإلتفات إلى أهمية الوقت

إن للوقت خصائصَ مهمةً لو تدبرناها وتفكرنا فيها طويلاً لربما سلكنا درب الرشد ، وعانقنا الإستغفار بعدَ أن طلقناه ثلاثاً ومن تلك الخصائص:

١ ـ إنه أغلى وأنفس ما يملكه الإنسان بل هو رأس ماله الحقيقي يقول الشاعر:

يا تاجر الروح قل لي فيم تتجر ورأس مالك من معبودك العُمُرُ

ما فائدة مال بلا عمر ؟

فلو قيل لك تخير بين أمرين بين أن يبقى من عمرك مائة عام وتعيش عيشة الكفاف (أي الكفاية) وبين أن لا يبقى من عمرك سوى يوم واحد لكن لك من الأراضي خمسون أرضاً ومن الأموال ما يقارب أموال قارون كثرة ، فأي الأمرين

---

(١) الكافي: ج١ ص٤٠ باب سؤال العالم وتذاكره .

تفضل ؟ خاصة إذا كنت عالماً بما ينتظر الإنسان بعد موته من الشدائد العظام التي أهونها (الموت) وما بعد أعظم وأدهى!!

٢ ـ سرعة انقضائه: كل يوم يمر على ابن آدم يقربه إلى أجله ، وينقضي ذلك اليوم ويأتي يوم آخر ثم ينقضي وهكذا تتصرم أيام ابن آدم من حيث يدري أو لا يدري بسرعة كبيرة ربما لا يلتفت إليها في أكثر الأحيان إلا في ساعة الإحتضار .

يقول الشاعر:

ما المرء إلا راكب ظهر عمره ... على سفر يفنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحي كل يوم وليلة ... بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر

ويقول الشاعر:

رويدك ليس عيشك للتمام ... أليس وراءنا لقيا الحمام ؟
ولدت فرحت تسعى نحو نقص ... وتحسب أن سعيك للتمام!

ويقول أمير المؤمنين: « ما أسرع الساعات في اليوم ، وما أسرع الأيام في الشهر ، وما أسرع الشهور في السنة وما أسرع السنين في العمر »(١) .

ويقول الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر في وصيته لهشام بن الحكم: « يا هشام لو رأيت مسير الأجل لألهاك عن الأمل »(٢) .

يعني لو كشف لك عن الغطاء ورأيت سرعة مسير الأجل لأذهلتك تلك السرعة عن آمالك . فلنبادر آجالنا بأعمالنا ، فإن الوقت لا ينتظرنا كي نفرغ لأنفسنا لقد علّق أحد العلماء في مكتبه لوحة فنية مكتوب فيها (والليل والنهار

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٨ .
(٢) تحف العقول: ص٢٩٤ وصية الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لهشام .

يعملان فيك فاعمل فيهما) وكان يستلهم من هذه العبارة روح النشاط والعزيمة .

٣ - عدم توقفه: إذا كان الإنسان يشتغل نهاراً وينام ليلاً فإن الوقت لا يعرف إسماً للراحة أو النوم ، إنه لا يمكن أن يغفل لحظة واحدة عن استمرارية تصرمه وانقضائه .

٤ - يأخذ الإنسان إلى أرذل العمر لو فرض بقاؤه: تمر الأيام والليالي ويحسب الإنسان أن ذلك المرور عنوان سعادته غافلاً عن أن تلك الأيام تقوده إلى حالة التنكيس في الخلق فيتحول شبابه إلى هرم ، وصحته إلى سقم ، وقوته إلى الضعف والعدم .

يقول أمير المؤمنين: « فهل ينتظر أهل بضاضة الشاب إلا حواني الهرم وأهل غضارة الصحة إلا نوازل السقم وأهل مدة البقاء إلا آونة الإنتهاء »[1] .

يقول الشاعر:

أرى عمري مؤذناً بالذهاب   تمر لياليه مر السحاب
وتفجؤني بيض أيامه   فتسلب مني سواد الشباب

فالشاب ينتظر الهرم والصحيح ينتظر السقم والمعمر ينتظر العدم كل ذلك مع فرض بقاء الإنسان إلى أن يكون كهلاً . وإلا فإن الموت لا يفرق بين صغير وكبير ، أو بين شاب وكهل ، فمن آنقضت أيامه أصابته سهام المنية .

فهذه بعض خصائص الوقت يجدر بنا أن نطيل التفكر فيها ، فإن تفكرنا فيها وقراءتنا لما وراء السطور يقودانا إلى الهدى والبصيرة وإلى الإنابة والإستغفار .

وعلى هذا الأساس يلزم التفرغ وعدم إضاعة العمر في الفراغ القاتل أو

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣ .

في اللهو والعصيان أو في أمور لا تعود على آخرتنا بالنفع يقول الشاعر مخاطباً الإنسان:

العمر بالعصيان تنفقه فهل أعددت للطاعات عمراً ثانٍ ؟
وبلذة الدنيا المشوبة بالأذى قد بعت جهلاً لذة الرضوان

رابعاً: تحدى نفسك تتغلب على شيطانك

للتغلب على العدوين الملازمين للإنسان وهما الشيطان والنفس يجب معرفة أن النفس هي قرينة الشيطان وشريكته في الجريمة وهي طريقه المشروع الذي ينفذ منه إلى الإنسان .

كما قال أمير المؤمنين: « حتى إذا آستدرج قرينته ، وآستغلق رهينته أنكر ما زين »[1] .

وحيث أن الشيطان لايُرى شخصُه وإنما يُعرف بآثاره وليس الكل قادراً على أن يتعرف على آثاره لذا يمكن الإستدلال على وجوده عن طريق قرينته وشريكته .

فكن دائماً مراقباً لنفسك ، مخالفاً لها ، متبعاً رشد عقلك ، فإذا تحيرت في أمر لا تدري هل تفعله أو لا تفعله فآعرضه على نفسك فإذا أمرتك بفعله فآتركه وإذا أمرتك بتركه فآفعله ، ففعلك هذا مع حملك نفسك على ما تكره هو المسمى بالترويض .

فإذا تحديت نفسك وهواها تكون قد أغلقت على الشيطان منفذه وقطعت الإتصال بينه وبين قرينته . فلا يجد للوصول إليك حولاً ولا قوة .

من هنا قال أمير المؤمنين: « فإن قدرت عليها ـ يعني النفس ـ كنت على غيرها أقدر وإن عجزت عنها كنت عن غيرها أعجز » .

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣ .

خامساً: تذكر خساسة الدنيا

مشكلة كثير من الناس أنهم لا يكتشفون خساسة الدنيا وقبحها إلا إذا جارت عليهم ايامها ولياليها ، وصبت عليهم سيل مصائبها والآمها . حيث أن للدنيا إقبالاً وإدباراً . فإذا أقبلت على المرء أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

لذا تجد الإنسان في حالة صحته وشبابه ، ينتقل من ذنب إلى ذنب ويتفنن في أنواع المعاصي والذنوب فإذا أصابه مرض خطير مثلاً وظن أن لا ملجأ له سوى الله عاد إليه رشده وأتضح له قبح منهجه وبدأ يستغفر الله من أعماقه .

لقد أوحى الله سبحانه إلى نبيه داوود: « يا داوود الدنيا جيفة وطلابها كلاب » .

فلو نظر العاقل إلى الدنيا لرأى حلوها مشوباً بمرها ، وفرَحها مختلطاً بحزنها . ولئن وجد الإنسان الراحة فيها يوماً فإن الهموم والغموم والمصائب والمتاعب تخيم عليه أياماً .

وأنظر إلى أهل الدنيا وتأمل أحوالهم فهذا مشغول بمرضه وذاك يعاني من شدة فقره وآخر يئن لقرب حتفه ، ورابع يبكي لفقد أحبته ، وهكذا . . . .

يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة خطبة (٩٩): « أولستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى فميتٌ يُبْكى وآخر يُعزَّى ، وصريع مبتلى وعائد يعود ، وآخر بنفسه يجود ، وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه »

فلماذا إذن بعد كل هذا نَرْكَن إلى الدنيا مع أننا ما خُلقنا لها ، وإنما خُلقنا لدار البقاء ؟

ولماذا نجعلها ونجعل ما فيها من الحطام واللذائذ الفانية والمنقضية شاغلاً لنا عما ينتظرنا من الحساب الدقيق بين يدي من لا تخفى عليه خافية ؟

أو ليس الأحرى بنا أن نتخذ الدنيا مزرعة الآخرة ونكثر فيها من الإستغفار والإنابة إلى الله ؟

أما كيف نتذكر ذلك فأمر في غاية السهولة لأن ما يجري على الإنسان في أغلب أيام الدنيا يكفي لتذكيره بخساستها . ونعم العون على ذلك زيارة المرضى ، والتفكر في أحوالهم ، والجلوس مع من فجعتهم الدنيا بأحبتهم ، والتفكر في حال من فارقوا الدنيا في ريعان شبابهم وخلفوا لهم يتامى يُبكى لحالهم .

وكذلك التفكر في حال أولياء الله العظماء كيف جارت عليهم الدنيا فحرمتهم من الطعام أياماً كما حصل ذلك لرسول الله (ص) ومن الماء كذلك كما حصل ذلك لولده الحسين بن علي ، يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة خطبة (١٦٠) « ولقد كان في رسول الله (ص) ما يدلك على مساويء الدنيا وعيوبها إذْ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله : أكرم الله محمداً بذلك أم أهانه ؟ فإن قال أهانه فقد كذب والله العظيم بالإفك العظيم ، وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان بذلك غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس إليه »

وكذلك العودة إلى كتاب الله وأحاديث الرسول (ص) وأهل بيته ووصاياهم ومواعظهم فإن التفكر في هذه الأمور يكشف للإنسان اللبيب قبح الدنيا وخساستها وجورها .

سادساً: تذكر مرحلة ما بعد الموت

من المعلوم أن مرحلة ما بعد الموت أعظم وأدهى من الموت نفسه مع ما فيه من شدة النزع الذي يصعب تصوره .

فتذكر القبر وأهواله وعذابه وضيقه وضنكه ووحدة الإنسان ووحشته فيه وتجسد الأعمال السيئة إلى حيات وعقارب كالبغال تلدغه فيه صباحاً ومساءً ، ويلاقي فيه مع ذلك أصناف العذاب الأخروى ، وإلى يوم يبعثون .

قال تعالى: ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾[1] .

وكذلك تذكر هول المطلع وخروج الناس إلى النشور ، عليهم لبوس الإستكانة وضرع الإستسلام والذلة قد خشعت أصواتهم وأرعدت أسماعهم لزبرة[2] الداعي وفر وقتئذ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، وأصبح لكل واحد منهم شأن لا يسعه معه أن يفكر في شأن غيره ولو كان فلذة كبده!! .

وتذكر عقبات القيامة حيث أن هناك خمسين عقبة يقف الإنسان عند كل عقبة ألف سنة وذلك تصديق قوله تعالى: ﴿ **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾[3] .

وكذلك تذكر ما هو أعظم من ذلك وهو سورات الحميم وزفرات الجحيم .

تذكر تلك النار التي تنضج الأكباد والكلى .

تذكر تلك النار التي يقول عنها الرسول (ص) في وصيته لأبي ذر الغفاري « . . . . . ولو أن دلواً صبّت من غسلين في مطلع الشمس لغلت منه جماجم من مغربها ، ولو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرّ جاثياً على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي حتى ينسى إبراهيم إسحاق يقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم فلا تنسني »[4] .

فإن تذكر الإنسان لتلك المواقف المخيفة دافع له للتمسك بحبل النجاة وهو الإستغفار خاصة إذا تذكر بأن بدنه ضعيف عن احتمال جمرة واحدة من نار الدنيا

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: (١٠٠).
(٢) زبرة الداعي صوته.
(٣) سورة المعارج، الآية: (٤).
(٤) البحار: ج٧٤ ص٧٢ باب مواعظ النبيّ (ص) ح٣ .

سابعاً: الإستقامة

قديماً قالوا: من السهل أن تصل إلى القمة ، ولكن من الصعب أن تثبت في القمة . ونحن بدورنا نقول: ربما يكون من السهل أن يكتشف الإنسان ضلال طريقه ويعود إلى الإستغفار . لكن من الصعب أن يبقى ثابتاً على هداه وذلك لأن للقلوب إقبالاً وإدباراً فلربما في حال إدبارها يغتنم الشيطان فرصته فيزين للإنسان المستغفر ترك طريقته . . . فيتأثر بتلك الوساوس التي لا يراها ، ومن ثم يزيغ قلبه .

لذا يكون لزاماً على كل مؤمن أن يتعاهد إيمانه كما يتعاهد الفلاح غرسته بالماء كي لا يعتريها الذبول ، وبالساتر حتى لا تؤثر عليها الرياح العاتية .

والإستقامة وإن كانت صعبة ، لكنها ليست مستحيلة . ويمكن تحقيقها والحفاظ عليها عبر النقاط التالية:

١ ـ التصميم على الثبات لأنه ما ضعف بدن عما قويت عليه النية .

٢ ـ تعّود الخير وإن كرهَتْ ذلك النفس لأن الخير عادة والشر عادة .

٣ ـ التذكر الدائم للآثار السلبية لترك الإستغفار . سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة .

٤ ـ تذكر فوائد الإستغفار لأن استعراض الفوائد من شأنه أن يشجع الإنسان عل الإستقامة .

٥ ـ الإستعانة بالله سبحانه وتعالى قبل كل شيء .

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة في وصيته (٣١): « وآبدأ قبل نظرك في ذلك بالإستعانة بإلهك والرغبة إليه في توفيقك » .

ويقول الإمام موسى بن جعفر في وصيته لهشام بن الحكم: « يا هشام إن الله جلّ وعز حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب حيث علموا أن القلوب تزيغ وتعود

إلى عماها ورداها »[1] .

٦ ـ الإبتعاد عن مجالس السوء وأهلها .

٧ ـ المبادرة إلى العمل الصالح من هذه الساعة فنحن قد لا ينقصنا عزم وتصميم وحب للعمل الصالح ولكنه تنقصنا روح المبادرة إلى ذلك .

فهلا جلسنا معاً تحت منبر أمير المؤمنين لننهل من فيض علمه حيث يقول: « العمل العمل ، ثم النهاية النهاية ، والإستقامة الإستقامة ، ثم الصبر الصبر ، والورع الورع! إن لكم نهاية فآنتهوا إلى نهايتكم وإن لكم عَلَماً[2] فآهتدوا بعَلمكم ، وإن للإسلام غاية فآنتهوا إلى غايته وآخرجوا إلى الله بما آفترض عليكم من حقه وبيّن لكم من وظائفه ، أنا شاهد لكم ؛ وحجيج[3] يوم القيامة عنكم ألا وإن القدر السابق قد وقع ، والقضاء الماضي قد تورّد[4] ، وإني متكلم بعدة[5] الله وحجته قال تعالى: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وآبشروا بالجنة التي كنتم بها توعدون** ﴾ وقد قلتم « ربنا الله » فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ،ثم لا تمرقوا منها ، ولا تبتدعوا فيها ، ولا تخالفوا عنها فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة »[6] .

قال تعالى: ﴿ **فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾[7] .

---

(١) الكافي: ج١ ص١٨ كتاب العقل والجهل.

(٢) العلم يريد به القرآن .

(٣) حجيج: من حج إذا أقنع بحجته.

(٤) أي ورد شيئاً بعد شيء.

(٥) عدة الله: أي وعده.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦ .

(٧) سورة التكوير، الآيات: (٢٦ ـ ٢٩).

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على محمد وآل محمد

اللهم آرزقنا توفيق الطاعة ، وبعد المعصية ، وصدق النية ، وعرفان الحرمة ،

وأكرمنا بالهدى والإستقامة ، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة ،

واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة ،

واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة ، وآغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة ،

واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة ،

وتفضّل على علمائنا بالزهد والنصيحة ، وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة ،

وعلى المستمعين بالإتباع والموعظة ،

وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة ،

وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة ، وعلى الشباب بالأنابة والتوبة ،

وعلى النساء بالحياء والعفة ، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة ،

وعلى الفقراء بالصبر والقناعة ، . . . . . .

بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

وصل اللهم على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار الميامين .

الفهرس

الفصل الثاني

الفصل الرابع

الفصل الخامس

تم الفسح لهذا الكتاب من
وزارة الإعلام - الرياض

بموجب خطاب رقم ٦٢٢٧/م بتاريخ ١٤١٢/٨/٢٣هـ

تم الإنتهاء من كتابة هذه السطور
ليلة الثلاثاء ١٩ جمادى الأولى ١٤١٢هـ

بعونه تعالى

وانطلاقاً من الواجب الديني حاولت بمعرفتي المتواضعة أن أبحث هذا الموضوع بطريقة يفهمها الجميع من حملة الشهادات العليا وغيرهم ممن هم دونهم ليكون أعم انتفاعاً. وقد قسمت البحث الى خمسة فصول:

ففي الفصل الأول: تعرضت الى إيضاح الاستغفار ومن ماذا يكون، ثم سلطت الضوء على آثار الذنوب الدنيوية والأخروية حيث أن الاستغفار يكون منها.

وفي الفصل الثاني: وبعد الإجابة على سؤال: لماذا الاستغفار؟ تحدثت عن فوائد الاستغفار التي لا غنى لنا عنها.

وفي الفصل الثالث: استعرضت الكيفية الخاطئة التي يستخدمها الكثير من الناس في طريقة استغفارهم ثم أوضحت الكيفية الصحيحة للاستغفار (آدابه ومقدماته وشروطه).

وفي الفصل الرابع: أشرت الى الأوقات والأماكن المفضلة للاستغفار بعد أن أوضحت أن الاستغفار مطلوب في كل وقت وفي كل مكان.

أما بالنسبة للفصل الخامس والأخير فقد بحثت فيه ثلاثة أمور:

1- هل نحن عقلاء أم مجانين؟

2- أسباب ترك الاستغفار.

3- سبل العودة الى الاستغفار.

وهذه الفصول الخمسة وإن كانت حسب رأيي كلها مهمة غير أن الفصل الثالث هو الأهم من حيث أنه لب الكتاب وروحه.

حسين مكي الخويلدي

[illegible]